



أفضل الخيارات السيئة لإدلب السورية

تقرير الشرق الأوسط رقم 197 | 14 آذار/مارس 2019

ترجمة من الإنكليزية

Headquarters

International Crisis Group

Avenue Louise 149 • 1050 Brussels, Belgium

Tel: +32 2 502 90 38 • Fax: +32 2 502 50 38

brussels@crisisgroup.org

Preventing War. Shaping Peace.

جدول المحتويات

| | |
|----|---|
| i | الملخص التنفيذي..... |
| 1 | I. مقدمة |
| 2 | II. خفض التصعيد في إدلب ومذكرة سوتشي |
| 5 | III. مشهد المعارضة المسلحة في إدلب |
| 5 | أ. هيئة تحرير الشام |
| 7 | 1. المشروع الإداري والاقتصادي لهيئة تحرير الشام |
| 11 | 2. الهوية الغامضة لهيئة تحرير الشام |
| 14 | ب. الجهاديون الآخرون |
| 14 | 1. حراس الدين/غرفة عمليات و'حرض المؤمنين' |
| 15 | 2. الحزب الإسلامي التركستاني في سورية |
| 16 | 3. جهاديون متفردون |
| 17 | ج. المعارضة المسلحة غير الجهادية |
| 17 | 1. الجبهة الوطنية للتحرير |
| 19 | 2. جيش العزة |
| 20 | IV. لا خيارات جيدة لإدلب |
| 20 | أ. الأطراف المعنية |
| 22 | ب. حل عسكري؟ |
| 24 | V. أفضل الخيارات السيئة: العودة إلى سوتشي |
| 25 | VI. الخلاصة |
| | الملاحق |
| 27 | أ. خريطة إدلب |
| 28 | ب. عن مجموعة الأزمات الدولية |
| 29 | ج. تقارير وإحاطات مجموعة الأزمات الدولية منذ عام 2016 |
| 31 | د. مجلس أمناء مجموعة الأزمات الدولية |

الاستنتاجات الرئيسية

ما الجديد؟ يتعرض اتفاق بين تركيا وروسيا يحمي محافظة إدلب السورية التي تسيطر عليها المعارضة المسلحة من هجمات النظام لضغوط متزايدة؛ فقد تصاعدت الصدامات بين الجهاديين وغيرهم من المسلحين داخل إدلب من جهة وقوات النظام من جهة أخرى. الدوريات التي بدأت تركيا مؤخراً بتسييرها تشكل تقدماً نحو تنفيذ الاتفاق الثنائي، لكن ما يزال هناك المزيد مما ينبغي فعله.

ما أهمية ذلك؟ تشكل منطقة إدلب آخر المعاقل الرئيسية للمعارضة السورية، ويقطنها نحو ثلاثة ملايين نسمة. ليس هناك وسيلة واضحة لتحديد جهادي إدلب دون أن يكون لذلك كلفة إنسانية مروّعة؛ حيث إن هجوماً للنظام سيرسل موجات من اللاجئين نحو الحدود التركية ويمكن أن يؤدي إلى نشر جهادي إدلب حول العالم.

ما الذي ينبغي فعله؟ ينبغي على تركيا وروسيا أن تؤكد التزامهما باتفاق إدلب الذي وقعته، وذلك من أجل تحاشي مواجهة عسكرية كارثية واحتواء مسلحي المنطقة. وينبغي على تركيا أن توسع نطاق دورياتها داخل المنطقة، في الوقت الذي تضغط فيه تركيا وروسيا معاً على النظام والمعارضة المسلحة لوقف العنف. وأخيراً، ينبغي عليهما تأمين الطرق الرئيسية السريعة في إدلب أمام حركة التجارة.

الملخص التنفيذي

لقد تحاشت محافظة إدلب الواقعة في شمال غرب سورية والمناطق المحيطة بها هجوماً عسكرياً شاملاً – لكن من غير الواضح إلى متى ستمكن من تجنب ذلك. يقطن هذا المعقل الأخير للمعارضة نحو ثلاثة ملايين نسمة، معظمهم مدنيون. كما تستضيف آلاف المسلحين الجهاديين، إضافة إلى بعض أشد معارضي النظام السوري. لقد أشارت روسيا والنظام السوري إلى أنهما لن تسمحا باستمرار الوضع الراهن في إدلب وأنهما حريصتان على استعادة دمشق للمنطقة في أقرب فرصة ممكنة. لكن هجوماً للنظام مدعوماً من روسيا سيحدث كارثة إنسانية، ويخرج أعداداً كبيرة من اللاجئين بشكل يؤدي إلى زعزعة استقرار تركيا المجاورة وبيعتر مسلحين قد يحدثون فوضى عارمة عالمياً. بدلاً من ذلك، ينبغي على تركيا وروسيا أن تأكدا التزامهما بوقف إطلاق النار الذي ضمنته بشكل مشترك في إدلب. وينبغي أن تظهر تركيا أنها تحرز المزيد من التقدم في تنفيذ بنود الاتفاق، بما في ذلك تعزيز وجودها العسكري وتوسيع نطاق دورياتها داخل إدلب لمنع وقوع انتهاكات لوقف إطلاق النار وإعادة فتح الطرق السريعة أمام التجارة.

منذ أيلول/سبتمبر 2017، ساعد وقف جزئي لإطلاق النار بموجب اتفاق "خفض التصعيد" بين تركيا وإيران وروسيا في حماية إدلب. كما ومنع اتفاق تم التوصل إليه في أيلول/سبتمبر 2018 بين تركيا وروسيا، وأعلن في منتجع سوتشي على البحر الأسود، ما كان يبدو هجوماً وشيكاً للنظام وعزز الاتفاق السابق. لكن من المهم أن اتفاق "خفض التصعيد" الأصلي ألزم جميع الأطراف بعزل ومحاربة التنظيمات الجهادية، وأن اتفاق سوتشي حدد إجراءات إضافية لتطهير منطقة منزوعة السلاح داخل إدلب من "التنظيمات الإرهابية المتطرفة". يقع عبء تنفيذ اتفاق سوتشي بشكل رئيسي على تركيا، التي قصرت حتى الآن في الوفاء بمسؤولياتها. في هذه الأثناء، تصاعدت الهجمات المتبادلة بين مسلحي إدلب وقوات النظام. إن تسيير دورية تركية في المنطقة منزوعة السلاح في 8 آذار/مارس يشكل تقدماً كبيراً، لكن اتفاق سوتشي يتطلب المزيد.

داخل إدلب، تشكل هيئة تحرير الشام، وهي النسخة الأحدث لجبهة النصرة فرع تنظيم القاعدة في سورية، الفصيل المسلح الأكثر أهمية. بعد أن كسر خصومها المسلحون سيطرتها المطلقة على إدلب في مطلع العام 2018، أعادت هيئة تحرير الشام إحكام قبضتها على كل منطقة إدلب في كانون الثاني/يناير 2019. إضافة إلى هيئة تحرير الشام فإن بعض المجموعات المسلحة الأخرى في إدلب تضم جهاديين لهم أطماع عالمية، إلا أن معظمها إسلامية بشكل عام ولكن يمكن فهمها على نحو أفضل بوصفها تجليات شعبية مسلحة للمجتمعات المحلية في إدلب. بالنسبة لهيئة تحرير الشام، ليس من الواضح تماماً ما تمثله اليوم. فمع عدم إمكانية تحقيق نصر عسكري في سورية، استثمر الفصيل في مشروع حكم إسلامي محلي. ويعتبر كبار شخصياتها علناً عن الالتزام بـ "الجهاد"، لكنهم عملياً أظهروا بعض البراغماتية والمرونة. لقد توصلت هيئة تحرير الشام بشكل متكرر إلى تسويات مع تركيا تخالف المسلمات الجهادية بينما تضمن حتى الآن بقاء التنظيم.

لا يبدو أن الهجوم العسكري على إدلب وشيك الحدوث؛ إذ إن هجوماً للنظام مدعوماً من روسيا سيكون مكلفاً جداً، وعسكرياً، وبالنظر إلى الكلفة الإنسانية المرتفعة، سيكون ذا كلفة سياسية مرتفعة أيضاً. بدلاً من ذلك، تبدو روسيا ميالة لإعطاء الأولوية لعلاقتها مع تركيا والمحافظة على العملية السياسية في سورية.

رغم ذلك فإن اتفاق سوتشي يتعرض للضغط، مع زيادة حدة الصدامات على الأرض. ولذلك، ينبغي على تركيا أن تفعل المزيد في إدلب إذا أريد لوقف إطلاق النار أن يستمر. كما ينبغي على تركيا توسيع نطاق دورياتها داخل منطقة إدلب بشكل يغطي كامل المنطقة منزوعة السلاح وتعزيز نقاط المراقبة الثابتة لقواتها، لثني مسلحي إدلب والنظام على حد سواء عن استعمال العنف. كما ينبغي على تركيا وروسيا أن تضغطا على الطرفين معاً لوقف الهجمات المتبادلة بينهما. إضافة إلى ذلك، على تركيا أن تضغط على هيئة تحرير الشام كي تتخلى عن سيطرتها على الطرق الرئيسية السريعة التي تعبر المنطقة، وأن تقوم مع روسيا بتأمين الطرق أمام التجارة.

لا يشكل تجنب مواجهة عسكرية كارثية في إدلب واحتواء مسلحي المنطقة حلاً دائماً. لكن حتى الآن، يشكل ذلك أفضل خيار متوفر يحمي حياة السكان.

بيروت/بروكسل، 14 آذار/مارس 2019

أفضل الخيارات السيئة لإدلب السورية

I. مقدمة

في بدايات تمرد العام 2011 في سورية، كانت محافظة إدلب في الشمال الغربي ومحيطها من بين أولى مناطق البلاد التي حملت السلاح ضد النظام.¹ كانت المنطقة، ذات الطابع المحافظ والتي عانت تاريخياً من التهميش الاقتصادي والسياسي، أيضاً معقلاً للمسلحين الإسلاميين والجهاديين بين فصائل المعارضة.² بعد أن تمكن التدخل العسكري الروسي في العام 2015 دعماً للنظام من اقتلاع مسلحي المعارضة من أجزاء أخرى من البلاد، أصبحت إدلب تدريجياً آخر المعاقل الحقيقية للمعارضة.

كان النظام مستعداً لعزل معارضته الأشرس في إدلب، مقدراً ربما أنه عندما يحين الوقت لشن هجوم، فإن الداعمين الدوليين للمعارضة لن يكونوا متحمسين للدفاع عن منطقة خاضعة بشكل متزايد لسيطرة الجهاديين. بداية من العام 2014، بدأ النظام بنقل السكان الذين اعتبرتهم أجهزته الأمنية غير مقبولين أو الذين رفضوا "المصالحة" مع الدولة إلى شمال سورية.³ تزايدت عمليات الترحيل هذه في العام 2016، وأرسل معظم المهجرين إلى إدلب. كما حدث أنه في العام 2014، أعادت جبهة النصرة التي كانت تشكل فرع القاعدة في سورية، والتي كانت تترنح جراء خسائرها في مناطق أخرى أمام خصومها في التنظيم الذي أصبح يصف نفسه بأنه الدولة الإسلامية، أعادت تجمعها في إدلب وبدأت بتصفية بعض مكونات المعارضة المسلحة المحلية. وهكذا تركز جهاديو سورية ومعظم المعارضين غير الراغبين بالتسوية في إدلب، كما فعل آلاف المدنيين الهاربين من الصراع المهلك والعمليات الانتقامية التي يشنها النظام. ارتفع عدد سكان منطقة إدلب الآن إلى ما يقارب الثلاثة ملايين نسمة، نصفهم تقريباً نازحون من مناطق أخرى في سورية.⁴ حتى الآن، تحظى إدلب وسكانها المدنيون بالحماية بموجب وقف إطلاق نار جزئي اتفق عليه بشكل رئيسي بين تركيا وروسيا. إلا أن اتفاقات تركيا وروسيا حول إدلب تتطلب منها أيضاً محاربة الجهاديين فيها. داخل إدلب، من الواضح أن هيئة تحرير الشام، أحدث نسخة من جبهة النصرة، هي المهيمنة. ومن غير المرجح إلحاق الهزيمة بها بأي طريقة دون التسبب في حدوث كارثة إنسانية أو في تدفقات كبيرة للمسلحين الجهاديين إلى بلدان أخرى.

يقدم هذا التقرير مسحاً للتنظيمات الجهادية والفصائل المسلحة الأخرى في إدلب. ويستند بشكل أساسي إلى أبحاث أجريت في تركيا، وكذلك إلى مقابلات مع سوريين داخل منطقة الشمال الغربي تم التواصل معهم عن بعد. بعد إجراء مسح لهذه الفصائل، يقدم التقرير توصيات بشأن السياسات لجعل وقف إطلاق النار في إدلب مستقراً، وفي الوقت نفسه إدارة التهديد الذي يشكله مسلحو إدلب محلياً ودولياً.

¹ في حزيران/يونيو 2011، نفذ رجال محليون منجحة بحق قوات الأمن السورية في مدينة جسر الشغور التابعة لمحافظة إدلب، في أول مثال على العنف المسلح واسع النطاق فيما كان حينذاك ما يزال حركة احتجاجية ذات طابع تغلب عليه السلمية في سائر أنحاء البلاد. Mariam Karouny, "Syria to send in army after 120 troops killed", Reuters, 6 June 2011. ثم تجمع مقاتلو المعارضة المسلحة بعدند في ريف إدلب ومناطق مثل جبل الزاوية التي كانت قوات النظام قد طردت منها. انظر Ben Hubbard, "Syria rebels divided, at times violent", Associated Press, 21 June 2012.

² انظر تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 131، هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سورية، 12 تشرين الأول/أكتوبر 2012.

³ "المصالحة" هو التعبير الملطف الذي يستخدمه النظام لوصف الاستسلام التفاوضي للمناطق الخاضعة لسيطرة المعارضة المسلحة واستعادة سيطرة الدولة عليها. إضافة إلى عمليات الإخلاء إلى الشمال، يترتب على العملية أيضاً عودة مؤسسات وخدمات الدولة وقيام أجهزة أمن النظام المختلفة بإجراء عملية فحص وتدقيق للسكان من أجل تسوية وضعهم القانوني. كانت "المصالحة" في كثير من الأحيان تأتي بعد فترات حصار طويلة وتشمل تهديد النظام باستخدام القوة العسكرية، بما في ذلك القصف المكثف للأحياء والبنية التحتية المدنية.

⁴ طبقاً للبيانات السكانية التي جمعها فريق الوصول الإنساني لميرسي كوربس في تشرين الثاني/نوفمبر 2018، فإن 2,829,580 نسمة يعيشون في المنطقة التي تشكل منطقة خفض التصعيد في إدلب، بما في ذلك المناطق التي تسيطر عليها المعارضة في محافظة إدلب، وفي محافظتي اللاذقية وحماة المجاورتين وفي منطقة جبل سمعان في محافظة حلب. من بين هؤلاء السكان، هناك 1,269,377 نسمة نزحوا من مناطق أخرى من سورية. Humanitarian Access Team, "Population Data", accessed 1 January 2018. طبقاً لتقديرات الحكومة السورية، كان عدد سكان محافظة إدلب في نهاية العام 2010 1,464,000 نسمة. لا تتوفر تقديرات حسب المنطقة، ما يجعل من المستحيل جمع هذه الأرقام مع تقديرات من المناطق التي تسيطر عليها المعارضة في محافظات حلب، وحماة، واللاذقية. المكتب المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية.

II. خفض التصعيد في إدلب ومذكرة سوتشي

منذ أيار/مايو 2017، تخضع إدلب لاتفاق "خفض التصعيد" بين تركيا، وروسيا وإيران، تكملته مذكرة تفاهم بين تركيا وروسيا أعلن عنها في أيلول/سبتمبر 2018. في الأصل، أعلنت تركيا، وروسيا وإيران عن إقامة أربع مناطق "خفض تصعيد" في سورية، بما فيها المنطقة التي تشمل إدلب والأجزاء المجاورة لها من محافظات اللاذقية، وحماه و حلب، في قمة عقدت في أستانة في أيار/مايو 2017.⁵ نص اتفاق خفض التصعيد على وقف الأعمال القتالية في المناطق الأربع وعلى شروط لتحسين الوصول الإنساني. كما ألزم الدول الضامنة لاتفاق أستانة بمحاربة جبهة النصرة وغيرها من المسلحين الجهاديين و"فصل" المعارضة المسلحة عن تلك "التنظيمات الإرهابية".⁶

في أيلول/سبتمبر 2017، أعلنت ثلاثية أستانة أنها كانت قد رسّمت منطقة خفض التصعيد في إدلب وأنها ستنتشر قوات مراقبة في نقاط مراقبة على كل محيطها.⁷ حشدت تركيا حلفاءها في المعارضة المسلحة السورية وقواتها هي أيضاً على الحدود مع إدلب، فيما بدا أنه ينذر بتدخل عسكري لإخراج هيئة تحرير الشام من المنطقة. كما حشدت هيئة تحرير الشام بدورها قواتها على الحدود استعداداً لحدوث مواجهة. لكن في النهاية، سمحت هيئة تحرير الشام للقوات التركية بدخول إدلب وإقامة أولى نقاط المراقبة في تشرين الأول/أكتوبر 2017. توقف الانتشار التركي بعد أن تمت إقامة أول ثلاث نقاط مراقبة على الحدود الشمالية لمنطقة إدلب. لكن بين تشرين الأول/أكتوبر 2017 وشباط/فبراير 2018، خسرت هيئة تحرير الشام جزءاً كبيراً من ريف إدلب الشرقي أمام هجوم للنظام مدعوم من روسيا وإيران. مع تقدم النظام نحو قلب محافظة إدلب المأهول بالسكان، سمحت هيئة تحرير الشام بانتشار تركي سريع على خط الجبهة مع النظام، ومن ثم طوال شهر أيار/مايو 2018، حول ما تبقى من منطقة إدلب. بموازاة ذلك، أقامت روسيا وإيران نقاط مراقبة خاصة بهما في المنطقة التي يسيطر عليها النظام والمحيطه بمنطقة خفض التصعيد.⁸

بين شهري آذار/مارس وتموز/يوليو 2018، ساعدت روسيا النظام السوري على استعادة مناطق خفض التصعيد الثلاثة الأخرى، مبررة فعلها في بعض الحالات بأنه تنفيذ لبنود الاتفاق التي تنص على محاربة الإرهاب.⁹ ثم حوّل النظام اهتمامه إلى إدلب. كان المسؤولون الروس قد عبّروا عن غضبهم حيال هجمات بالطائرات المسيّرة على قاعدة حميميم الجوية في محافظة اللاذقية السورية الساحلية، التي ادعوا أنها أطلقت من داخل منطقة إدلب، وكذلك الهجمات التي شنّها مسلحو إدلب على المناطق المحيطة التي يسيطر عليها النظام.¹⁰ في آب/أغسطس 2018، أصبحت لهجة موسكو أكثر حدة بكثير، حيث هدّدت بـ "عملية ضد الإرهابيين" في إدلب للقضاء على هذا "الخزّاج" الذي يسيطر عليه "الإرهابيون".¹¹ بحلول أيلول/سبتمبر 2018 بدا هجوم النظام على منطقة خفض التصعيد في إدلب وشيكاً. إلا أنه تم تجنب هذا الهجوم عبر توقيع مذكرة تفاهم بين الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ونظيره الروسي فلاديمير بوتين

⁵ المناطق الثلاث الأخرى كانت في جنوب غرب سورية، والغوطة الشرقية في محيط دمشق وريف حمص الشمالي. Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, "Memorandum on the Creation of De-escalation Areas in the Syrian Arab Republic", 6 May 2017.

⁶ أعلن الضامنون الثلاثة اتفاقهم على الترسيم الدقيق لمنطقة خفض التصعيد في إدلب وعلى نشر قوات مراقبة في الجولة السادسة من محادثات أستانة في أيلول/سبتمبر 2017. Republic of Turkey, Ministry of Foreign Affairs, "Press Release Regarding the Declaration of the Idlib De-Escalation Area at the Sixth Astana Meeting Held on 14-15 September 2017", 15 September 2017. للمزيد من المعلومات حول اتفاق خفض التصعيد في إدلب، انظر إحاطة مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 56، تحاشي وقوع كارثة في محافظة إدلب السورية، 9 شباط/فبراير 2018، وإحاطة مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 63، إنقاذ إدلب من التدمير، 3 أيلول/سبتمبر 2018.

⁷ Republic of Turkey Ministry of Foreign Affairs, "Press Release Regarding the Declaration of the Idlib De-Escalation Area at the Sixth Astana Meeting Held on 14-15 September 2017", op. cit.

⁸ إحاطة مجموعة الأزمات، تحاشي وقوع كارثة في محافظة إدلب السورية، مرجع سابق؛ وإحاطة مجموعة الأزمات، إنقاذ إدلب من التدمير، مرجع سابق.

⁹ على سبيل المثال، انظر Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, "Briefing by Foreign Ministry Spokesperson Maria Zakharova, Moscow, July 5, 2018", 5 July 2018.

¹⁰ على سبيل المثال، "Foreign Minister Sergey Lavrov's remarks and answers to media questions at a joint news conference following talks with Foreign Minister of the Republic of Turkey Mevlut Cavusoglu, Moscow, August 24, 2018", 24 August 2018.

¹¹ Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, "Foreign Minister Sergey Lavrov's remarks and answers to media questions at a joint news conference following talks with Saudi Arabia's Foreign Minister Adel Al-Jubeir, Moscow, August 29, 2018", 29 August 2018.

في منتجع سوتشي على البحر الأسود في 17 أيلول/سبتمبر 2018.¹² عزز اتفاق سوتشي اتفاق خفض التصعيد في إدلب إذ نص على إقامة منطقة منزوعة السلاح جزئياً بعرض 15-20 كم داخل منطقة خفض التصعيد، كان يفترض أن يتم إخلاؤها من الأسلحة الثقيلة وغير المباشرة و"التنظيمات الإرهابية المتطرفة" بحلول أواسط تشرين الأول/أكتوبر. كما تطلبت مذكرة التفاهم أيضاً تسيير دوريات تركية وروسية منسقة وفرض المراقبة على حدود المنطقة منزوعة السلاح، إضافة إلى فتح الطريقين السريعين بين اللاذقية وحلب وبين دمشق وحلب اللذان يعبران محافظة إدلب بحلول نهاية العام 2018.

تراجعت حدة الخطاب الروسي بعد اتفاق سوتشي. على الورق، حققت بنود اتفاق سوتشي – بما في ذلك المنطقة العازلة منزوعة السلاح، التي من شأنها أن تقلص التهديد الذي تتعرض له حميميم ومناطق مثل مدينة حلب – الحد الأدنى من المطالب الروسية.¹³ دمشق، من جهتها، أكدت علناً أن روسيا كانت قد نسقت معها.¹⁴ أما في الأحاديث غير المعلنة، ذكر أنها كانت مستاءة من اضطرارها لتأجيل الهجوم.¹⁵ رغم أن المذكرة لم تحدد الطرف المسؤول عن تحقيق هذه الشروط، كان من الواضح ضمناً أن عبء التنفيذ يقع على تركيا.¹⁶

تم تحسين اتفاق خفض التصعيد في إدلب بدرجة أكبر بقيمة رباعية عقدت في اسطنبول في تشرين الأول/أكتوبر، أكد فيها قادة تركيا، وروسيا، وألمانيا وفرنسا على أهمية التوصل إلى "وقف إطلاق نار طويل الأمد" في إدلب.¹⁷ كما امتدحوا التقدم الذي تم تحقيقه نحو إقامة منطقة عازلة منزوعة السلاح بموجب اتفاق سوتشي، بينما أكدوا بشكل متكرر الحاجة للاستمرار في محاربة "الإرهاب".

لكن على الأرض داخل إدلب، ما يزال تنفيذ اتفاق سوتشي غير مكتمل. في تشرين الأول/أكتوبر، ذكر أن مسلحي المعارضة سحبوا بعض الأسلحة الثقيلة من المنطقة العازلة منزوعة السلاح، بينما ظل الجهاديون موجودين فيها. لم تتم إعادة فتح الطريقين السريعين في إدلب أمام حركة المرور الاعتيادية بعد.¹⁸ بدلاً من ذلك، فإن هيئة تحرير الشام تسيطر على هذه الطرق وتحصل الرسوم على الشاحنات التجارية. في كانون الثاني/يناير 2019، قضت هيئة تحرير الشام على الفصيل المعروف بحركة نور الدين الزنكي، وهو الفصيل الذي يشكل أحد خصومها الرئيسيين، وفرضت هيمنتها على منطقة إدلب بأسرها. تصاعدت الهجمات المتبادلة بين النظام والمعارضة المسلحة في إدلب، وأعلنت عدة فصائل جهادية عن غارات على المناطق المجاورة التي يسيطر عليها النظام، منطلقاً مما يفترض أن يكون منطقة منزوعة السلاح مطهرة من "التنظيمات الإرهابية المتطرفة".¹⁹ في خطوة مهمة، سبّرت تركيا أولى دورياتها في المنطقة منزوعة السلاح في 8 آذار/مارس.²⁰ إلا أن تركيا لم ترسل دورياتها سوى إلى جزء من المنطقة، بينما استمر العنف في مناطق أخرى حول إدلب.²¹

¹² United Nations Security Council, "Letter dated 18 September 2018 from the Permanent Representatives of the Russian Federation and Turkey to the United Nations addressed to the President of the Security Council", 18 September 2018.

¹³ رغم أن المسؤولين الروس هددوا بشن هجوم ضد الإرهابيين قبل اتفاق سوتشي، فإنه ومنذ الاتفاق، أشار الرئيس بوتين إلى أن أمن مدينة حلب وحميميم أهم الأولويات لروسيا. انظر - President of Russia, "Press statement following Russian-Turkish talks", 17 September 2018; "Russia and Turkey fulfilling their agreement on Syria's Idlib — Putin", TASS, 4 October 2018.

¹⁴ "سورية ترحب بالاتفاق حول إدلب الذي أعلن عنه في سوتشي وتؤكد أنه كان حصيلة مشاورات مكثفة بينها وبين روسيا"، سانا، 18 أيلول/سبتمبر 2018.

¹⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي أوروبي، بيروت، أيلول/سبتمبر 2018.
¹⁶ لقد أوضح المسؤولون الروس منذ ذلك الحين أن تركيا مسؤولة عن تنفيذ اتفاق سوتشي داخل منطقة إدلب. على سبيل المثال، انظر - President of Russia, "News conference following the meeting of the leaders of Russia, Turkey, Germany and France", 27 October 2018.

¹⁷ President of Russia, "Joint Statement by the Presidents of the Republic of Turkey, the French Republic, the Russian Federation and the Chancellor of the Federal Republic of Germany", 27 October 2018.

¹⁸ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد قادة المعارضة المسلحة، ومع ناشط ومسؤول حكم محلي سابق داخل منطقة إدلب، عن بُعد وعبر تطبيق الرسائل، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

¹⁹ على سبيل المثال، انظر "جماعة 'أنصار التوحيد' تتبنى هجوماً على مواقع الأسد شمالي حماة"، عنب بلدي، 3 آذار/مارس 2019.

²⁰ طبقاً لوكالة الأناضول التركية، فإن مسار الدورية امتد من كفر لوسين/الدانا في ريف إدلب الشمالي، ثم إلى الأتارب في ريف حلب الغربي، ثم إلى قماري والقناطر والعيس في ريف حلب الجنوبي. "Turkish military completes patrols in Syria's Idlib", Anadolu Agency, 8 March 2019

²¹ "إجراء روسي جديد تجاه إدلب بعد يوم من 'الدورية التركية'"، نداء سوريا، 9 آذار/مارس 2019.

ربطت قمة اسطنبول بشكل أكثر إحكاماً استمرار خفض التصعيد في إدلب بقضايا سياسية على مستوى عالٍ، بما في ذلك تشكيل لجنة دستورية وإعادة الإعمار.²² كما استمرت تركيا وروسيا في الاستثمار في علاقاتهما الثنائية متعددة الأبعاد، التي يشكل التعاون بشأن إدلب جانباً فقط من جوانبها المختلفة.²³ إن توسيع انخراط تركيا وروسيا ولاعبين ثانويين مثل فرنسا وألمانيا ليشمل جميع هذه الملفات المختلفة يقلص على الأرجح التركيز على إدلب بالتحديد والضغط باتجاه التنفيذ الحرفي لمذكرة سوتشي. رغم ذلك، أكدت روسيا لمحاديثها في اسطنبول أنه عندما يتعلق الأمر بوقف إطلاق النار في إدلب، فإن مصطلح "طويل الأمد" لا تعني "دائم".²⁴

²² يختلف الدبلوماسيون حول ما إذا كانت إشارة إعلان اسطنبول إلى "البنية التحتية الإنسانية" مثلت تنازلاً مهماً من فرنسا وألمانيا بشأن دعم إعادة الإعمار "وتحقيق الاستقرار". طبقاً لدبلوماسي من أحد البلدان المشاركة في قمة اسطنبول: "ينبغي أن يكون هناك شيء للروس، كيف نجد ذلك الخط الأحمر بين إعادة الإعمار المساعدات الإنسانية؟ كان ذلك الحل الوسط الذي قبلنا به". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تشرين الثاني/نوفمبر 2018. في الاجتماع الذي عقد في تشرين الثاني/نوفمبر 2018، قدم ضامنو أسنانة تفصيلاً لتعريف "البنية التحتية" التي قالوا إنها تشمل "منشآت التزود بالمياه والكهرباء، والمدارس والمستشفيات". Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, "Joint Statement by Iran, Russia and Turkey on the International Meeting on Syria in Astana, 28-29 November 2018", 29 November 2018.

²³ انظر Crisis Group Europe & Central Asia Report N°250, *Russia and Turkey in the Black Sea and the South Caucasus*, 28 June 2018.

²⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي غربي، تركيا، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

III. مشهد المعارضة المسلحة في إدلب

مع تزايد أهمية إدلب، أصبحت الظروف في المنطقة أقل وضوحاً. بوصفها آخر معقل رئيسي للثورة ضد الأسد، فإنها هي التي تمنح المعارضة أهميتها السياسية من ناحية السيطرة على الأرض. يقطنها أكثر من ثلاثة ملايين مدني - سكانها الأصليون إضافة إلى الأشخاص الذين نزحوا من مناطق أخرى في سورية - ما يكثف الاحتياجات الإنسانية التي تتطلب دعماً من المانحين الدوليين. ومع تراجع التهديد الدولي لتنظيم الدولة الإسلامية بهزيمته على الأرض، فإن إدلب برزت أيضاً بوصفها مركزاً للهواجس العالمية بشأن محاربة الإرهاب. في العام 2017، وصف بريث ماكغورك، المبعوث الأميركي إلى التحالف الذي يحارب تنظيم الدولة الإسلامية حينذاك، إدلب بأنها "أكبر ملاذ للقاعدة منذ الحادي عشر من أيلول".²⁵

لقد أحبطت إدلب محاولات من ليسوا من أهلها لفهمها منذ بداية الحرب، حتى قبل 2013-2014، عندما باتت عمليات الاختطاف متكررة إلى درجة أن معظم الصحفيين الأجانب والعاملين في مجال المساعدات توقفوا عن دخولها. إن الأحداث التي تقع في إدلب وما حولها تصوغها ديناميكيات محلية وعلاقات شخصية يعرفها بشكل رئيسي السكان أنفسهم.²⁶ مع تقليص اللاعبين الخارجيين لانخراطهم في إدلب على مدى العام الماضي، فإن الأشخاص الذين كانوا يتواصلون معهم والمعلومات التي يحصلون عليها من داخل إدلب تلاشت، وباتت المنطقة أقل شفافية.²⁷ حتى بالنسبة للسوريين، فإن الشمال الغربي خطير وغير قابل للتنبؤ.²⁸

لقد كانت خريطة سيطرة الفصائل المسلحة داخل إدلب دائماً متنوعة ومعقدة.²⁹ رغم انتشار القوات التركية على نقاط المراقبة حول منطقة خفض التصعيد، فإن تركيا لا تدير إدلب بشكل مباشر كما تفعل في الأجزاء التي تسيطر عليها من محافظة حلب إلى الشمال.³⁰ إدلب يسيطر عليها سكانها وفصائلها المسلحة، التي يتكون معظمها من رجال محليين. وبين فصائل إدلب، فإن دور هيئة تحرير الشام هو الأهم.

أ. هيئة تحرير الشام

هيئة تحرير الشام هي أحدث نسخة من جبهة النصرة، الفرع السوري سابقاً لتنظيم القاعدة، والفصيل المسلح المهيمن في شمال غرب سورية.³¹ كما يتبين من اسمها، فإن جبهة النصرة قدمت نفسها في البداية

²⁵ انظر "Assessing the Trump Administration's Counterterrorism Policy", Middle East Institute, 27 July 2017.

²⁶ في أحد الأمثلة، أجبرت شبكة أخبار NBC في العام 2015 على مراجعة رواية مراسلها ريتشارد إنجل عن عملية اختطاف وقعت في إدلب في العالم 2012 بعد أن تبين أن المسلحين الذين كانوا ظاهرياً قد حرروا إنجل مما كان يفترض أنهم "شبيحة" مولون للنظام كانوا في الواقع قد تأمروا مع المختطفين لتمثيل عملية إنقاذ إنجل. كان قائد المسلحين تربطه علاقة قرابة عن طريق الزواج بأحد المختطفين. "NBC News Alters Account of Ravi Somaiya, C.J. Chivers and Karam Shoumali, 'NBC News Alters Account of Correspondent's Kidnapping in Syria'", *The New York Times*, 15 April 2015.

²⁷ المساعدات العسكرية السرية للمعارضة المسلحة في الشمال الغربي والتي كانت تقدم بشكل مشترك من الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وتركيا، ودول الخليج وحلفاء آخرين انتهت في نهاية العام 2017، وتوقف جزء كبير من مساعدات "تحقيق الاستقرار" المدنية الغربية للحكومة وتقديم الخدمات تدريجياً في العام 2018. مع تراجع عدد الأنشطة داخل الشمال الغربي، فإن الحكومات الغربية تتلقى معلومات أقل كما ونوعاً حول الظروف السائدة في المنطقة. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسيين غربيين، أيار/مايو - تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

²⁸ رجل أعمال سوري قال: "في الداخل، لا تعرف من هو عدوك. هناك عصابات خطف، وقضايا سياسية، وفصائل. اليوم التهديد من هيئة تحرير الشام سهل. لكنك لا تعرف من الذي يشكل تهديداً. خصوصاً بالنسبة للأشخاص المعروفين أو الأثرياء". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أنطاكية، آب/أغسطس 2018.

²⁹ طبقاً لناشط في إدلب: "في إدلب، يمكن أن تمشي كيلومتراً واحداً من بلدة تسيطر عليها هيئة تحرير الشام لتجد نفسك في بلدة تالية تسيطر عليها صقور الشام ... هناك الكثير من الاختلاط". مسؤول سابق في الحكم المحلي داخل إدلب قال: "هناك أيضاً الكثير من المناطق التي لهيئة تحرير الشام فيها 'وجود'، لكن يكون هناك عنصرين، أو منزل". مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد عبر تطبيق الرسائل، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

³⁰ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع سوريين داخل إدلب ومع دبلوماسيين غربيين، تركيا وعن بعد عبر تطبيق الرسائل أيلول/سبتمبر - تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

³¹ في تموز/يوليو 2016، أعلنت جبهة النصرة أنها ستصبح جبهة فتح الشام، التي قالت إن "التشكيل الجديد ليس له علاقة بأي جهة خارجية"، وبالتالي فإنها تنفصل ضمناً عن القاعدة. كما اعترف مسؤولو جبهة النصرة لاحقاً، فإن الانفصال كان زائفاً؛ حيث يبدو أن هيئة تحرير الشام حاولت المحافظة على مبايعتها للقاعدة سراً بانتظار حدوث اندماجها مع فصائل معارضة سورية أخرى الذي كان سيجعل الانفصال حقيقياً وكاملاً. رغم ذلك فإن القيادة العليا للقاعدة رفضت الخطوة. انفصلت جبهة فتح الشام عن القاعدة بشكل أكثر عمقاً في كانون الثاني/يناير 2017 عندما اندمجت مع فصائل معارضة مسلحة أخرى لتشكيل هيئة تحرير الشام، رغم أن قيادة الهيئة ظلت على اتصال مع كبار شخصيات القاعدة. في تشرين الثاني/نوفمبر 2017، احتجزت هيئة تحرير الشام عدة موالين كبار للقاعدة وقادة سابقين في جبهة النصرة كانوا قد انفصلوا عن التنظيم. دفع ذلك فيما يبدو إلى نشر رسالة صوتية من

على أنها مجموعة من المسلحين السوريين العائدين من ميادين المعارك الجهادية الخارجية لدعم الشعب السوري في وجه حالة من القمع الدموي.³² لكن بمرور الوقت، فإن دعمها المساند للتمرد في سورية أصبح أكثر هيمنة، خصوصاً في شمال البلاد.³³ في مطلع الحرب السورية، ميزت جبهة النصره نفسها عن الفصائل السورية بكونها فعالة على نحو خاص بفضل قدرات مقاتليها وانضباطهم واستعدادهم لتنفيذ تفجيرات انتحارية قوية داعمة للهجمات التقليدية.³⁴ كما تشتهر هيئة تحرير الشام بأنها أفضل تنظيمياً من خصومها.³⁵

بإعلان تأسيسها في كانون الثاني/يناير 2017، اضطلعت هيئة تحرير الشام بالدور القيادي في تمرد الشمال السوري.³⁶ ثم، في تموز/يوليو 2017، هزمت هيئة تحرير الشام حركة أحرار الشام، التي كانت حليفها ذات يوم وباتت الآن خصمها الرئيسي.³⁷ الانشقاقات والقتال المميت مع فصائل أخرى قلصت حجم هيئة تحرير الشام وسيطرتها على المناطق في مطلع العام 2018، لكنها عادت إلى النهوض في كانون الثاني/يناير 2019، فهزمت منافسيها السابقين وطردت المقاتلين الذين رفضوا الانصياع لها إلى ريف حلب الشمالي الواقع تحت السيطرة التركية.³⁸

رغم أن هيئة تحرير الشام تنازلت عن بعض المناطق المحيطة في معركتها في مطلع العام 2018، فإنها تمسكت بالمناطق الرئيسية التي كانت تسيطر عليها: المناطق المكتظة بالسكان والمربحة والأكثر أهمية استراتيجياً في الشمال الغربي.³⁹ وتشمل هذه المناطق معبر باب الهوى الحدودي مع تركيا؛ وكل امتداد حدود الشمال الغربي مع تركيا، التي تضم مخيمات النازحين في المنطقة؛ وعاصمة محافظة إدلب التي تحمل نفس الاسم؛ ومعابر التجارة الداخلية بين المناطق الخاضعة لسيطرة المعارضة وتلك الخاضعة

زعيم القاعدة أيمن الظواهري نفسه يدين فيها هيئة تحرير الشام وانفصالها عن القاعدة، مع خروج ما كان نزاعاً داخلياً إلى العلن. "إعلان تشكيل جبهة فتح الشام"، Jihadology، 28 تموز/يوليو 2018، أيمن الظواهري، "فلنقاتلهم بنياً مرصوصاً"، Jihadology، 28 تشرين الثاني/نوفمبر 2018. 29، Jihadology، untitled testimonial، Abdurrahim Attoun، 29 November 2017. لقد ادعت هيئة تحرير الشام أنها كيان جديد مستقل، وليس امتداداً لتنظيم سابق. لكن بعد انشقاقات متتالية الفصائل الأخرى التي شكلت هيئة تحرير الشام إضافة إلى جبهة النصره، يبدو أن هيئة تحرير الشام وقيادتها باتت تتكون بشكل عام من شخصيات جبهة النصره، رغم أن بعض القادة الأصليين في جبهة النصره كانوا قد انشقوا. لمراجعة مثال على موقف هيئة تحرير الشام، انظر هيئة تحرير الشام، "توضيحات وردود حول بيان مبعوث الولايات المتحدة الأميركية في سورية مايكل رانتي"، Jihadology، 12 آذار/مارس 2018. لمراجعة تقارير سابقة لمجموعة الأزمات حول جبهة النصره، انظر مجموعة الأزمات، هل هو الجهاد؟ مرجع سابق؛ تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 63، بين السيارات المفخخة والبراميل المتفجرة: حلب وحالة الحرب السورية، 9 أيلول/سبتمبر 2014.

³² "النصرة" تعني "الدعم" أو "المساعدة". كان اسم التنظيم الكامل في الأصل يعني حرفياً "جبهة لنصرة أهل الشام من مجاهدي الشام في ساحات الجهاد".

³³ حدثت نقطة التحول الرئيسية في أواسط العام 2014، عندما بدا أن خطاباً مسرباً لزعيم جبهة النصره أبو محمد الجولاني أنذر بتأسيس قريب لـ"إمارة" في الشمال السوري. رغم أن التنظيم أنكر أنه أعلن "إمارة" بالتحديد، فإنه نفذ الإجراءات العملية التي ذكرها الجولاني في خطابه، بما في ذلك تأسيس شبكة من المحاكم الإسلامية وتصفية العناصر الإجرامية والمدعومة خارجياً داخل المعارضة المسلحة. خطاب غير معنون لأبي محمد الجولاني، تموز/يوليو 2014؛ جبهة النصره، "بيان توضيحي حول ما أشيع عن إعلان جبهة النصره لإمارة إسلامية"، Jihadology، 12 تموز/يوليو 2014.

³⁴ للمزيد حول المساهمة الفريدة لجبهة النصره في ميدان المعركة، انظر تقرير مجموعة الأزمات، بين السيارات المفخخة والبراميل المتفجرة، مرجع سابق؛ وتقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 163، مقارنة جديدة في جنوب سورية، 2 أيلول/سبتمبر 2015.

³⁵ طبقاً لباحث سوري في إدلب على معرفة بهيئة تحرير الشام فإن التنظيم يستفيد تنظيمياً من عوامل تشمل الخبرة السابقة والإرث المؤسساتي للدولة الإسلامية في العراق وتنظيم القاعدة، وتدريبها الصارم، والدوافع العقديّة لمقاتليها وانضباط هؤلاء المقاتلين وإطاعتهم للأوامر. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد وعبر تطبيق الرسائل، آب/أغسطس 2018. من جهة أخرى، فإن ناشطاً سورياً في ولاية هاتاي التركية قال: "ترتكب هيئة تحرير الشام أخطاء أقل مما يرتكبه الآخرون، إذا قارنتها بأحرار الشام. إنها أفضل تنظيمياً وأكثر انضباطاً من أحرار الشام وحركة نور الدين الزنكي، ما يمنحها سيطرة ونفوذاً أكبر. وبالتالي فإنها أفضل تنظيمياً، لكن بالمقارنة مع تلك الفصائل. إنها ليست 'منظمة'... إنه أمر نسبي". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد وعبر تطبيق الرسائل، كانون الأول/ديسمبر 2018.

³⁶ Aron Lund, "The Jihadi Spiral", Carnegie Middle East Center's *Diwan*, 8 February 2017.

³⁷ أحمد أبا زيد، "كيف انهارت أحرار الشام"، شبكة شام نيوز، 10 آب/أغسطس 2018.

³⁸ حركة نور الدين الزنكي انفصلت عن هيئة تحرير الشام في تموز/يوليو 2017، في حين أن جيش الأحرار الذي كان جزءاً من أحرار الشام ترك هيئة تحرير الشام في أيلول/سبتمبر 2017. كما انفصلت عدة وحدات جهادية عن هيئة تحرير الشام في أواخر 2017 ومطلع 2018، لتعود لاحقاً إلى الانضمام إلى حراس الدين الموالي للقاعدة (انظر أدناه). لمراجعة ظروف الانتصار النهائي لهيئة تحرير الشام في كانون الثاني/يناير 2019، انظر تحرير الشام و"الوطنية للتحرير" يتوصلان إلى اتفاق نهائي، وهذه بنوده، "نداء سوريا، 10 كانون الثاني/يناير 2019.

³⁹ "هيئة تحرير الشام تسعى لإعادة تموضع جديد في الشمال السوري"، نداء سوريا، 28 شباط/فبراير 2018.

لسيطرة النظام. كما احتفظ التنظيم ببعض الوجود، وإن لم يكن بالسيطرة الكاملة، في العديد من المناطق خارج منطقتها الرئيسية.⁴⁰

منذ كانون الثاني/يناير وسعت سيطرتها الرسمية لتصل إلى حدود منطقة إدلب لكنها ما تزال في سياق فرض سيطرة أكثر فعالية، بما في ذلك استيعاب هيئات الحكم المحلي وتأسيس وجود عسكري وأمني.⁴¹

كانت المهمة المعلنة الأصلية لهيئة تحرير الشام "توحيد [المعارضة المسلحة السورية] للمحافظة على مكاسب الثورة والجهاد" وتحقيق أهداف الثورة - كما تراها هيئة تحرير الشام - في الإطاحة بالنظام السوري وتحكيم الشريعة الإسلامية.⁴² كما أوضح التنظيم أن جزءاً من هدفه في تأسيس هيئة تحرير الشام كان أن يجعل من نفسه مفاوضاً ضرورياً وذا مصداقية أمام القوى الخارجية.⁴³

أما كيف يعتزم التنظيم الإطاحة بالنظام، أو ما إذا كان يأخذ ذلك الهدف حرفياً، فإنه أمر غير محدد. تستمر هيئة تحرير الشام بالاصطدام دورياً مع قوات النظام عند حدود إدلب، وتؤكد على دورها المحوري في الدفاع عن الشمال الغربي الذي تسيطر عليه المعارضة.⁴⁴ إلا أن معركتها الرئيسية الأخيرة مع النظام كانت معركتها الخاسرة على ريف إدلب الشرقي بين تشرين الأول/أكتوبر 2017 وشباط/فبراير 2018.⁴⁵ إلا أن أهداف التنظيم ليست عسكرية وحسب. لقد حولت اهتمامها على نحو متزايد إلى الداخل، وباتت تركز على مشروع الحكم الإسلامي الذي يشكل أيضاً مشروعاً اقتصادياً.

1. المشروع الإداري والاقتصادي لهيئة تحرير الشام

يتمثل الجزء الرئيسي من مشروع تحرير الشام في "حكومة الإنقاذ"، التي تشكلت في تشرين الثاني/نوفمبر 2017.⁴⁶ تراجعت سيطرة حكومة الإنقاذ بتراجع سيطرة هيئة تحرير الشام على الأرض في مطلع العام 2018، لكن عندما استعادت سيطرتها في كانون الثاني/يناير 2019، فرضت سيطرة حكومة الإنقاذ على كامل الشمال السوري.⁴⁷ في أول مقابلة له منذ ذلك الوقت، أوضح زعيم هيئة تحرير الشام أبو محمد الجولاني أنه يعتبر وجود إدارة مدنية واحدة تحكم الشمال الغربي أولوية.⁴⁸ بعد عقد "المؤتمر العام للثورة السورية" في شباط/فبراير 2019، يمكن أن يتم استبدال حكومة الإنقاذ بهيئة أخرى ذات طابع مدني

40 مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع نشطاء سوريين، وباحثين وعاملين في الشأن الإنساني، تركيا وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، آب/أغسطس 2018.

41 مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول سابق في الحكم المحلي وقائد في المعارضة المسلحة عن بعد وعبر تطبيق الرسائل، كانون الثاني/يناير 2019.

42 هيئة تحرير الشام، "إعلان تشكيل هيئة تحرير الشام"، Jihadology، 28 كانون الثاني/يناير 2017.

43 في بيان سابق آخر، قال إن المبادئ التأسيسية تشمل رفض العملية السياسية "الاستسلامية"، وإقامة علاقات متوازنة مع الأطراف ذات النفوذ" (أي القوى الأجنبية) ورفض المساومة على المقاتلين الأجانب. HTS، "Learn about Hei'at Tahrir al-Sham"، Jihadology، 14 February 2017. لرواية كاملة حول تأسيس هيئة تحرير الشام والمنطق الكامن وراءه، انظر Sam Heller، "The Strategic Logic of Hayat Tahrir al-Sham"، Perspectives on Terrorism، vol. 11، no. 6 (2017).

44 هيئة تحرير الشام، "تهنئة بمناسبة عيد الأضحى المبارك 1439 هجري"، Jihadology، 21 آب/أغسطس 2018.

45 أمجاد للإنتاج المرني، "السكة"، Jihadology، 23 تشرين الثاني/نوفمبر 2018. مجموعة الأزمات، تحاشي وقوع كارثة في محافظة إدلب السورية، مرجع سابق.

46 "تشكيل حكومة الإنقاذ في الشمال السوري" عنب بلدي، 2 تشرين الثاني/نوفمبر 2017. شكلت حكومة الإنقاذ من قبل "الهيئة التأسيسية للمؤتمر السوري العام"، التي تستمر في لعب دور إشرافي والتي ما يزال رئيسها بسام صهيوني، نشطاً وبارزاً. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عامل في الشأن الإنساني، تركيا، آب/أغسطس 2018؛ "الهيئة التأسيسية للمؤتمر السوري العام تصادق على البيان الوزاري لحكومة الإنقاذ السورية"، شبكة إباء الإخبارية، 10 كانون الثاني/ديسمبر 2018.

47 أعطت هيئة تحرير الشام أهمية لحكومة الإنقاذ لدرجة أن الهيئة ضمننتها في بنود اتفاقات الاستسلام في ريف حلب الغربي عندما كان القتال ما يزال مستمراً، وجعل سيطرة حكومة الإنقاذ التنازل المهم الوحيد الذي انتزعت من أحرار الشام وصقور الشام في موافقتها على الرضوخ لسيطرة هيئة تحرير الشام. "هيئة تحرير الشام تحيد قرية عوبجل وتتبعها لحكومة الإنقاذ"، شبكة إباء الإخبارية، 4 كانون الثاني/يناير 2018؛ "تحرير الشام" والوطنية للتحرير" تتوصلان إلى اتفاق نهائي، وهذه بنوده"، نداء سوريا، مرجع سابق. أما إلى أي حد ستدير حكومة الإنقاذ الهيئات المحلية مباشرة بعد كانون الثاني/يناير 2019 فيبقى غير واضح. لقد كانت مديريتا الصحة والتربية في إدلب، واللذان تعملان في مدينة إدلب الخاضعة لسيطرة هيئة تحرير الشام، كانتا في الماضي مستقلتان عن حكومة الإنقاذ. كلا المديرين تنظلمان موارد ومهارات كبيرة لتقوموا بعملهما؛ وقد مكنتهما هامش الاستقلال الذي يتمتعان به من الحصول على دعم الجهات المانحة. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين في الحكومة المحلية، وعاملين في الشأن الإنساني ودبلوماسيين من بلدان غربية مانحة، تركيا وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، آب/أغسطس، أيلول/سبتمبر وتشرين الثاني/نوفمبر 2018.

48 أمجاد للإنتاج المرني، "الحوار: الاقتتال الداخلي ومستقبل الساحة الشامية"، Jihadology، 14 كانون الثاني/يناير 2019.

رمزي.⁴⁹ لكن يبدو من غير المرجح أن تقوم هيئة تحرير الشام بتفكيك الجهاز الإداري لحكومة الإنقاذ؛ فبعد تأسيسها، استوعبت حكومة الإنقاذ الهيئة التي كانت هيئة تحرير الشام قد شكلتها، "الإدارة المدنية للخدمات"، بما في ذلك مؤسسة الكهرباء.⁵⁰

يتكون وزراء حكومة الإنقاذ من خليط من التكنوقراط غير الحزبيين والشخصيات المرتبطة بهيئة تحرير الشام.⁵¹ بعض الموظفين المسؤولين عن الفروع المولدة للإيرادات في الحكومة بدأ أنهم يعملون بشكل مستقل، على الأقل ولاية رئيس الوزراء الأسبق في حكومة الإنقاذ محمد الشيخ. وزير الاقتصاد في حكومة الإنقاذ محمد "أبو طه" الأحمد، الذي كان يرأس أيضاً هيئة الخدمات السابقة التابعة لهيئة تحرير الشام، مستقل وناقد على نحو خاص.⁵² تدير وزارة العدل في الحكومة شبكة من المحاكم الشرعية، التي تشكل عاملاً رئيسياً في ادعاء هيئة تحرير الشام بأنها تحكم الشريعة.⁵³ يتبع الجهاز الأمني لهيئة تحرير الشام ظاهرياً لمحاكم حكومة الإنقاذ ويستهدف منتقدي التنظيم، ويعذبهم في بعض الحالات.⁵⁴ وكجزء من المشروع الديني لهيئة تحرير الشام، فقد تدخلت الهيئة وحكومة الإنقاذ لفرض الفصل بين الجنسين في المدارس، وفرض اللباس المحافظ على النساء والقيود على حركتهن.⁵⁵ التنظيم يقصي النساء عن قيادته وعن هيئاته السياسية، لكنه لم يمنع من ممارسة جميع المهن أو من الحياة العامة.⁵⁶

بالنسبة لهيئة تحرير الشام، تبدو حكومة الإنقاذ مشروعاً سياسياً وأيضاً أداة للحصول على المال. يصعب تفكيك الشؤون المالية لهيئة تحرير الشام عن تلك التي لحكومة الإنقاذ – المانحون يعتبرون الاثنيتين مترابطتان – ولا يكشف التنظيم بشفافية عن تمويله.⁵⁷ رغم ذلك، فإن الجهاز الاقتصادي لهيئة تحرير الشام مجتمعاً مع حكومة الإنقاذ، متنوع ومربح. توفر حكومة الإنقاذ خدمات مثل الكهرباء، والمياه وغيرها من

⁴⁹ في 10 شباط/فبراير 2019 عقد "المؤتمر العام للثورة السورية" الذي نظمه ظاهرياً نشطاء وشخصيات في المجتمع المدني، وأوصى المؤتمر بتأسيس إدارة مدنية جديدة تحل محل حكومة الإنقاذ الحالية. عقد المؤتمر وفعالية أولية أخرى في مناطق خاضعة لسيطرة هيئة تحرير الشام وحظيت بتغطية إعلامية من وسائل الإعلام التابعة للهيئة. شاركت القيادة العليا لحكومة الإنقاذ بفعالية في المؤتمر. تعريفة للمؤتمر العام للثورة السورية، @GCoF SyrianRevol, 9:30 pm, 10 February 2019. حكومة الإنقاذ السورية، "خطاب رئيس الوزراء خلال المؤتمر العام للثورة السورية"، شباط/فبراير 2019.

⁵⁰ "تحرير الشام تسلم مؤسساتها الخدمية لحكومة الإنقاذ"، **عنب بلدي**، 7 تشرين الثاني/نوفمبر 2018. يبدو أن "الإدارة المدنية للخدمات" كانت اسماً آخر للإدارة العامة للخدمات التابعة لجبهة النصرة. انظر Heller, "Syrian Jihadists Jeopardize Humanitarian Relief", op. cit.; Sam Heller, "Keeping the Lights on in Rebel Idlib", The Century Foundation, 29 November 2016.

⁵¹ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين في الحكومة المحلية، وعاملين سوريين في الشأن الإنساني، تركيا وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، آب/أغسطس – تشرين الأول/أكتوبر 2018. كان أول رئيس وزراء لحكومة الإنقاذ محمد الشيخ، أكاديمي مدني. وكان خلفه فواز هلال، رجل أعمال خدم أيضاً في مجلس محافظة حلب وفي وحدة تنسيق الدعم. سلوى عبد الرحمن، "الإعلان عن تشكيل حكومة جديدة للإنقاذ وفواز هلال رئيساً لها"، صحيفة حبر، 10 كانون الأول/ديسمبر 2018.

⁵² طبقاً لعامل سوري في الشأن الإنساني: "محمد الأحمد هو الكل بالكل". مسؤول سابق في الحكومة المحلية السورية قال: "أبو طه هو الرئيس الفعلي". مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع عاملين في الشأن الإنساني وموظفين في الحكومة المحلية، تركيا وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، آب/أغسطس، تشرين الأول/أكتوبر وتشرين الثاني/نوفمبر 2018. في الدورة الثانية لحكومة الإنقاذ، ضمت وزارة الاقتصاد ووزارة الزراعة إليها، وذكر أن أحمد رُفِعَ إلى منصب نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية. كما عُيِّنَ وزير الإدارة المحلية والخدمات نائباً لرئيس الوزراء أيضاً. "تعيين فواز هلال رئيساً لحكومة الإنقاذ في إدلب"، **عنب بلدي**، 11 كانون الأول/ديسمبر 2018؛ "اجتماع الهيئة التأسيسية للمؤتمر السوري العام من أجل الإعلان والمصادقة على البيان الوزاري لحكومة الإنقاذ السورية بدورتها الثانية"، شبكة إباء الإخبارية، مرجع سابق.

⁵³ شبكة إباء الإخبارية، "حوار أجرته شبكة إباء مع وزير العدل في حكومة الإنقاذ الدكتور إبراهيم شاشو حول انتشار المحاكم التابعة للحكومة في المحرر وفعاليتها وتطبيقها للشريعة الإسلامية وآخر إنجازاتها"، 9 أيلول/سبتمبر 2018.

⁵⁴ Human Rights Watch, "Syria: Arrests, Torture by Armed Group", 28 January 2019. اشتكت إحدى نساء إدلب من أنه "في حين كانت المعارك دائرة على الجبهات، كان أفراد هيئة تحرير الشام يتخذون مواقعهم أمام المدارس للتأكد من عدم اختلاط الفتيات والفتيان". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد عبر تطبيق الرسائل، أيار/مايو 2018. امرأة في منطقة وقعت حديثاً تحت السيطرة الاسمية لهيئة تحرير الشام توقعت أن يقوم التنظيم بفرض معايير معينة للباس على النساء، لكن فيما عدا ذلك كانت متفائلة: "لا تستطيع هيئة تحرير الشام تغيير المجتمع بشكل جذري. أولئك اللاتي يرغبن بارتداء العباة سيفعلن ذلك من تلقاء أنفسهن. واللاتي لا يرغبن بذلك قد يرتدينها للتكيف مع وجود هيئة تحرير الشام لكن لن يغيرن آراءهن". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد عبر تطبيق الرسائل، شباط/فبراير 2019.

⁵⁶ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد وعبر تطبيق الرسائل، 2018-2019. على سبيل المثال انظر "الغياب الملحوظ للنساء عن المؤتمر العام للثورة السورية: شبكة إباء الإخبارية، "جانب من فعاليات المؤتمر العام للثورة السورية"، 10 شباط/فبراير 2019.

⁵⁷ عامل سوري في الشأن الإنساني قال: "المانحون لا يتعاملون مع [حكومة الإنقاذ] إنهم يعتبرونها الجناح المدني لهيئة تحرير الشام". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تركيا، آب/أغسطس 2018. حتى الأشخاص المطلعين الذين ناقشوا مجموعة الأزمات ناقشوا مصادر إيرادات هيئة تحرير الشام وحكومة الإنقاذ، مثل المعابر التجارية، كما لو أنها هي نفسها. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين سوريين في الحكومة المحلية. تركيا وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، أيلول/سبتمبر وتشرين الأول/أكتوبر 2018.

الخدمات العامة، وتجمع رسوماً مقابل ذلك.⁵⁸ هذا، إضافة إلى أن هيئة تحرير الشام أو حكومة الإنقاذ تستأجر عقارات استولت عليها من الدولة السورية أو تعود إلى مالكيها غائبين.⁵⁹ ثمة مزاعم أن هيئة تحرير الشام تسيطر على شركة تحتكر استيراد الوقود من تركيا.⁶⁰ كما يشك بأنها تترجح من عمليات الاختطاف مقابل الفدية، رغم أن مدى انخراطها في عمليات الخطف داخل وخارج الشمال الغربي غير واضح.⁶¹ لكن يتوقع أن المصدر الرئيسي للعائدات بالنسبة لهيئة تحرير الشام هو ما تحصله من رسوم على عبور المواد التجارية من معبر باب الهوى ومعابر التجارة الداخلية بين المناطق التي تسيطر عليها المعارضة والمناطق التي يسيطر عليها النظام.⁶²

كما تسيطر هيئة تحرير الشام على المناطق الواصلة بين باب الهوى ومدينة سرمد، التي تشكل المركز المالي والتجاري للشمال الغربي الذي تسيطر عليه المعارضة.⁶³ الممر الواصل بين باب الهوى وسرمد حيوي للدعم الإنساني في شمال غرب سورية. في أيلول/سبتمبر 2018، وبعد أن اكتشفت الحكومة الأميركية أن حكومة الإنقاذ كانت تحصل الرسوم على الشاحنات العابرة لباب الهوى، أوقفت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة مساعدتهما الإنسانية من خلال ذلك المعبر.⁶⁴ بعد سيطرة هيئة تحرير الشام على

⁵⁸ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع نشطاء سوريين، ومسؤولين في الحكومة المحلية، وعاملين في الشأن الإنساني، تركيا وعن بعد عن طريق تطبيق الرسائل، آب/أغسطس - تشرين الثاني/نوفمبر 2018 دبلوماسي من بلد عربي ماتح قال: "لقد جعل هذا من الصعب تقديم بعض الخدمات. وشكلت الكهرباء المثال الكلاسيكي. كنا نطلب من المستفيدين إبلاغنا باحتياجاتهم، فيقولون إنهم بحاجة لمصدر أكثر استقراراً للطاقة. لكنه كان قطاعاً لهيئة تحرير الشام أو لحكومة الإنقاذ وجود كبير فيه. ربما كان بالإمكان فعل ذلك، لكن إذا تعمدت بالأمر، أو إذا كان هناك عملية تدقيق محاسبي، سنجد أنك تحقق المنفعة لهيئة تحرير الشام. ... عملية تريح هائلة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تركيا، تشرين الثاني/نوفمبر 2018. لقد صورت حكومة الإنقاذ هذه الرسوم على أنها وسيلة لتحقيق الاستقرار المالي لهيئات الحكم المحلي. "شاهدوا: كيف نجحت حكومة الإنقاذ في حل مشكلة افتقار المجالس المحلية إلى القدرات؟"، فيديو، يوتيوب، 3 شباط/فبراير 2019.

⁵⁹ انظر Ammar Hamou and Avery Edelman, "Property seizures by hardline rebels stoke fears among Idlib province's fading Christian community", *Syria Direct*, 13 December 2018. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع ناشط سوري، وعامل في الشأن الإنساني وموظف في الحكومة المحلية، أنطاكية، وعن بعد عبر تطبيق الرسائل آب/أغسطس وتشرين الأول/أكتوبر 2018.

⁶⁰ لقد ادعت وسائل الإعلام السورية المؤيدة للمعارضة أن شخصيات في هيئة تحرير الشام أسست شركة وتد تسيطر عليها. "إدلب: وتد للبتترول تستغل أزمة المحروقات"، المدن، 7 تشرين الثاني/نوفمبر 2018. في تشرين الثاني/نوفمبر 2018، أصدرت وتد بياناً لا يحمل إنكاراً رداً على الادعاءات بأنها مملوكة من هيئة تحرير الشام، يقول إنها "شركة مدنية". "وتد للبتترول"، فيسبوك، 8:52 قبل الظهر، 7 تشرين الثاني/نوفمبر 2018. وقعت وتد للبتترول مذكرة تفاهم مع حكومة الإنقاذ في آذار/مارس 2018. حكومة الإنقاذ السورية، 15 آذار/مارس 2018.

⁶¹ انظر United Nations Security Council, "Twenty-second report of the Analytical Support and Sanctions Monitoring Team submitted pursuant to resolution 2368 (2017) concerning ISIL (Da'esh), Al-Qaida and associated individuals and entities", 27 July 2018, p. 9. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع نشطاء سوريين وسياسي سوري، أنطاكية واسطنبول، آب/أغسطس وتشرين الثاني/نوفمبر 2018.

⁶² إدارة باب الهوى مستقلة رسمياً لكن يعتقد على نطاق واسع أنها خاضعة لسيطرة هيئة تحرير الشام. مقابلات مع عاملين في الشأن الإنساني ونشطاء سوريين، ومسؤولين في الحكومة المحلية، وأفراد في المعارضة المسلحة الشمالية، تركيا وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، آب/أغسطس - كانون الأول/ديسمبر 2018. يقدر أن الأرباح الشهرية من باب الهوى وحده تبلغ ملايين الدولارات، طبقاً لمقابلات أجرتها مجموعة الأزمات. محمد الأحمد وصف إدارة حكومة الإنقاذ للمعابر مع المناطق الخاضعة لسيطرة النظام وتحصيل الرسوم في مقابلة أجريت معه في كانون الثاني/يناير 2019. "حكومة الإنقاذ تمسك بمعابر إدلب"، **عنب بلدي**، 6 كانون الثاني/يناير 2019.

⁶³ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع صحفي سوري، ونشطاء سوريين ومحلل للشؤون الإنسانية، بيروت، وعبر تطبيق الرسائل، نيسان/أبريل وأيار/مايو 2017، آب/أغسطس وتشرين الثاني/نوفمبر 2018. وعلى مدى الحرب السورية، أصبحت سرمداً مركزاً للتجارة والتصنيع في الشمال الغربي الذي تسيطر عليه المعارضة، وكذلك للصارف ومكاتب تحويل الأموال. انظر Sam Heller, "Syrian Jihadists Jeopardize Humanitarian Relief", *The Century Foundation*, 1 June 2017.

⁶⁴ في أيلول/سبتمبر 2018، أمرت الوكالة الأميركية للتنمية الدولية ووزارة التنمية الدولية البريطانية المنظمات غير الحكومية الشريكة لها بالتوقف عن استخدام باب الهوى بسبب المخاوف من أن هيئة تحرير الشام "من المرجح أنها تحصل على فوائد مالية من الشاحنات السورية الواصلة إلى معبر باب الهوى". إدارة معبر باب الهوى وحكومة الإنقاذ ردتا ببيانات بالإنكليزية والعربية. أنكروا معبر باب الهوى أنه يفرض الضرائب على الشاحنات الإنسانية، في حين اعترفت حكومة الإنقاذ بأنها تحصل رسوماً لكنها وعدت بأن تتوقف عن ذلك اعتباراً من تشرين الأول/أكتوبر 2018. "US and UK halt key Syria aid", *IRIN News*, 2 October 2018. أبلغ مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمم المتحدة حكومة الإنقاذ بالحاجة إلى التوقف عن تحصيل الرسوم، وبعد أن أعلنت حكومة الإنقاذ التزامها، سمحت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة للمنظمات غير الحكومية الشريكة لها باستئناف استخدام باب الهوى. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع عاملين في الشأن الإنساني ودبلوماسيين غربيين، تركيا، وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

المنطقة في كانون الأول/يناير، علق بعض المانحين المساعدات للشمال الغربي، لكن المساعدات الإنسانية على الأقل استؤنفت لكن مع فرض معايير فحص وتدقيق أكثر شدة.⁶⁵

من الواضح أن هيئة تحرير الشام تفهم ضرورة المساعدات الإنسانية في الشمال الغربي وعمل المنظمات الإنسانية.⁶⁶ رغم ذلك، عرّض التنظيم أعمال الإغاثة للخطر بالتدخل بعمل منظمات المساعدات في بعض الحالات.⁶⁷ العاملون المحليون في الشأن الإنساني يحجمون عن التحدث صراحة حول تحويل المساعدات إلى غير مستحقيها خشية تعريض المساعدة للسكان الأكثر هشاشة في المنطقة للخطر.⁶⁸ ناشط سوري قال: "إذا توقف العمل ليوم واحد، سيكون هناك مجاعة".⁶⁹ (هذه مبالغة، لكن سيكون لقطع المساعدات القادمة عبر الحدود أثر خطير). الإجراءات الأكثر تشدداً لـ"محرابة الإرهاب" والضغط الرامية لمنع تحويل المساعدات زادت الضغط على العاملين في الشأن الإنساني الذين يحاولون مساعدة المدنيين في إدلب.⁷⁰ رغم ذلك فقد حالف العاملين في الشأن الإنساني بعض الحظ في إقناع هيئة تحرير الشام وحكومة الإنقاذ باحترام استقلالهم.⁷¹

أما كيف تنفق هيئة تحرير الشام هذه العائدات فهو أمر غير معروف. للتنظيم نفقات واضحة، بما في ذلك الرواتب، والأسلحة وكلفة تشغيل جهازها الإداري. لكن كيف تقارن هذه النفقات بإيرادات هيئة تحرير الشام، وما إذا كان هناك فائض نقدي لديها يمكن استخدامه لأغراض أخرى، سيبقى لغزاً. يجادل خصوم هيئة تحرير الشام بأن التنظيم هو بمثابة مافيا، مهتم بشكل أساسي بالمال.⁷² غير أن النشاط الاقتصادي لهيئة تحرير الشام أحدث شبكة من السوريين في سائر أنحاء الشمال الغربي تعتمد على التنظيم وتستثمر في بقاءه.⁷³ يبدو أن التمويل الذاتي لهيئة تحرير الشام يوفر لها درجة من الاستقلال في التعامل مع القوى

⁶⁵ على سبيل المثال، انظر Ammar Hamou and Justin Clark, "After cuts, German aid agency reinstates funding to health directorates in rebel-held north with 'strict conditions'", *Syria Direct*, 25 February 2019.

⁶⁶ بعد سيطرة هيئة تحرير الشام على الشمال الغربي والإسك باب الهوى في تموز/يوليو 2017 وفي الوقت الذي كانت فيه المنظمات الإنسانية تجتمع في تركيا لمناقشة الوصول المبدئي إلى إدلب، أصدرت هيئة تحرير الشام بياناً رددت فيه الخطاب الإنساني والتزمت بضمان العمل الإنساني وفقاً للمبادئ الإنسانية. تغريدة لسام هيلر، @AbuJamajem, 4:50 pm, 31 July 2017. أصلاً من تطبيق رسائل تلغرام. طبقاً لمحلل الشؤون الإنسانية: "وفي الوقت نفسه، تقول هيئة تحرير الشام 'إن ننتهك حياتكم، لكن أيضاً الوقت مناسب الآن لإطلاعنا على قوائم مستفيديكم'. كما لو أنهم لا يدركون التناقض. كما قالوا: 'سنساعدكم بتوظيف أناس محليين'". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

⁶⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عامل في الشأن الإنساني عن بعد وعبر تطبيق الرسائل، تشرين الثاني/نوفمبر 2018. مكتب المفتش العام في الوكالة الدولية للمساعدات الدولية وجد أنه "تحت تهديد هيئة تحرير الشام... حوّل موظفو إحدى المنظمات غير الحكومية آلاف حقايق الأغذية الممولة من قبل الوكالة الأميركية للمساعدات الدولية بقيمة ملايين الدولارات إلى مستفيدين لا يستحقونها (بما في ذلك مقاتلي هيئة تحرير الشام). قدموا قوائم مستفيدين مزورة"، وأن "موظفي المنظمة التي تنفذ المشاريع الممولة من قبل الوكالة الأميركية كانوا إما أعضاء أو متعاطفين مع تنظيمات إرهابية معروفة". مكتب المفتش العام للوكالة الأميركية للمساعدات الدولية، Fiscal: Top Management Challenges, "USAID Office of Inspector General, 13 November 2018, p. 5. انظر أيضاً، "Syrian militants served American food aid: US watchdog", IRIN News, 23 August 2018.

⁶⁸ طبقاً لأحد العاملين في الشأن الإنساني: "[العاملون السوريون في الشأن الإنساني] يحاولون عرقلة [هيئة تحرير الشام] - ويقولون لها إن عليهم التحدث إلى قادتهم في غازي عنتاب [تركيا]. وهذا يضعهم تحت ضغط متزايدة. يخبرهم [مكتب المنظمات في هيئة تحرير الشام] أنه لا ينبغي أن يطلعوا المكتب في غازي عنتاب على المعلومات - 'قولوا لهم ما يريدون سماعه؛ لا تخبروهم عما تتم مناقشته هنا. ستكونون مسؤولين إذا توقفت المساعدات'. يلعبون هذه الألعاب مع العاملين في المنظمات غير الحكومية في سورية، ويضعون الناس في وضع صعب". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد عبر تطبيق الرسائل، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

⁶⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أنقرة، آب/أغسطس 2018.

⁷⁰ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول سابق في الحكم المحلي ومع عاملين دوليين في الشأن الإنساني، عمان، عن بعد عبر تطبيق الرسائل، تشرين الثاني/نوفمبر 2018. "US tightens counter-terror clampdown on Syria aid", IRIN News, 21 September 2018. أحد العاملين الدوليين في الشأن الإنساني لاحظ أن العديد ممن هم أكثر حاجة موجودون في مخيمات النازحين في المناطق الحدودية الواقعة تحت سيطرة هيئة تحرير الشام. وأضاف: "إذا أُخبرت جهة مانحة منظمة غير حكومية بالأعمال في منطقة تسيطر عليها هيئة تحرير الشام، فإن تلك المنظمة، من حيث التعريف، لا تلتزم بالمبادئ الإنسانية. خصوصاً إذا كان السكان المحتاجون موجودين في مناطق تسيطر عليها هيئة تحرير الشام". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد وعبر تطبيق الرسائل، تشرين الأول/أكتوبر 2018.

⁷¹ دبلوماسي غربي قال: "لقد كان للإبصار الواضح لخطوطنا الحمراء عبر العاملين في الشأن الإنساني الذين يتحدّثون لـ [الحكومة الإنقاذ] أثر إيجابي من حيث الحد من التدخل". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد عبر تطبيق الرسائل، آذار/مارس 2019. انظر أيضاً الحاشية 61 حول دور مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا).

⁷² مسؤول سابق في الحكم المحلي قال: "جبهة النصرة، باختصار، منظمة لجمع الأموال - للسرقة. لقد شكلوا 'حكومة الإنقاذ' كغطاء للصوتية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد عبر تطبيق الرسائل، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

⁷³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عبد الله أديب، الباحث في مركز جسر للدراسات، اسطنبول، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

الخارجية مثل تركيا، التي يمنحها الدعم المالي الذي تقدمه ومساعداتها الأخرى نفوذاً لدى الفصائل المسلحة الشمالية الأخرى.

2. الهوية الغامضة لهيئة تحرير الشام

بدأت مهمة جبهة النصرة، الفرع السوري للقاعدة، واضحة: حتى مع سعيها لإسقاط النظام السوري وفرض الحكم الإسلامي، فإنها فعلت ذلك كجزء من حرب القاعدة العالمية غير المحدودة. أما ما تمثله هيئة تحرير الشام، فيما عدا المحافظة على بقائهما، فهو أقل وضوحاً.

تتكون القيادة العليا لهيئة تحرير الشام من شخصيات لها باع طويل في العمل المسلح. أبو محمد الجولاني هو القائد الرسمي لهيئة تحرير الشام ووجهها المعروف، ومعظم المصادر المطلعة تعتقد أن الجولاني ليس مجرد دمية بل شخصية محورية في التنظيم.⁷⁴ مصادر مماثلة مطلعة تقول إن هيئة تحرير الشام تنظيم سوري بشكل أساسي، وكذلك الحلقة الداخلية المحيطة بالجولاني.⁷⁵ العديد من السوريين – مطلعين أو غير مطلعين – يعتقدون أن هيئة تحرير الشام منقسمة داخلياً بين تيارات متنافسة من "الحمام" البرغامانيين و"الصفور" المتشددين.⁷⁶ رغم ذلك، ليس هناك توافق بين المراقبين حول تصنيف هذه التيارات.

كما أنه ليس من الواضح ما يدفع هؤلاء المجندين القدامى والجدد. بعض السوريين يعتقدون أن الأفراد العاديين في هيئة تحرير الشام، ومعظمهم سوريين، ليس لديهم عقيدة أيديولوجية. يعيشون في الشمال الغربي الذي تسيطر عليه المعارضة ومحرومون من اقتصاد مدني طبيعي ويدفعهم للانضمام إلى التنظيم الرغبة في الحصول على المال أو المكانة.⁷⁷ إلا أن ثمة ما يدفع إلى الاعتقاد بالعكس، على الأقل بالنسبة لبعض مقاتلي هيئة تحرير الشام. يذكر أن المتطوعين الجدد يمرون عبر عملية تثقيف أيديولوجي طويلة.⁷⁸ المسؤولون الشرعيون في التنظيم يقال إنهم يعدون المقاتلين عقائدياً لمواجهة هدفهم التالي، سواء كان في

⁷⁴ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة في المعارضة المسلحة، ومع ناشط سوري وسياسيين سوريين، تركيا وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، آب/أغسطس، أيلول/سبتمبر وتشرين الثاني/نوفمبر 2018. ممثل أحد فصائل المعارضة المسلحة قال: "قيل عامين، لم يكن من الممكن التعامل مع الجولاني. كان متشدداً للغاية. أما اليوم فإنه لم يعد الجولاني نفسه. ليس الجولاني الذي كان عليه قبل ثلاث أو ست سنوات، من حيث طريقة تفكيره وتعامله مع المسائل. الناس يتغيرون. إنهم ينضجون نتيجة تجاربهم". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، اسطنبول، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

⁷⁵ طبقاً لأحد قادة المعارضة المسلحة، فإن القادة النافذين في هيئة تحرير الشام إضافة إلى الجولاني يشملون: "أبو أحمد حدود"، ميسر الجبوري ("أبو ماري القحطاني")، وعبد الرحيم عطون ("أبو عبد الله الشامي") وحسام الشافعي/زيد العطار. أما البقية فهم "كاراكوزات"، كما يقول. سياسي سوري التقى قادة هيئة تحرير الشام قال إن الجبوري وعطون والشافعي/عطار هم جزء من الحلقة الداخلية لهيئة تحرير الشام، إضافة إلى مظهر الويس، "أبو محمد الشحيل"، و"أبو عبيدة الشحيل"، و"أبو أحمد أحرار"، يوسف الهجر ("د. أبو البراء"، المسؤول السياسي الرسمي لهيئة تحرير الشام)، وجمال زينية ("أبو مالك التلي"). مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، أيلول/سبتمبر وتشرين الثاني/نوفمبر 2018. في كلا القائمتين، جميع الشخصيات تقريباً سوريون. يمكن رؤية الويس وعطون في "‘Frogs’ and ‘Geckos’: Syria’s Jihadists Speak the Language of Rebellion", *War on the Rocks*, 22 October 2018. طبقاً لقائد سابق في المعارضة المسلحة: "من قبل، ما كنت لأقول بالتأكيد إن هيئة تحرير الشام 'محلية'. كان هناك الكثير من المقاتلين الأجانب في قيادتها. لكن ما حدث اليوم هو أن نحو ثلثي قادتها سوريون. غالبية قادتها سوريون، من المرتبة الأولى، إلى الثانية، إلى الثالثة. ... بشكل عام، فإن نحو 90% من هيئة تحرير الشام سوريون". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد عبر تطبيق الرسائل، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

⁷⁶ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع سياسيين في المعارضة السورية وقادة في المعارضة المسلحة، تركيا وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، تشرين الأول/أكتوبر – كانون الأول/ديسمبر 2018. أحد القادة في الشمال الغربي قال: "ثمة ارتباك داخل هيئة تحرير الشام. هذا غير معلن، لكن على الأرض، تستطيع أن تراه". أعضاء هيئة تحرير الشام، من جهتهم، يذكرون أن في التنظيم له "تيارات". انظر قناة أبو الفتح الفرع، تلغرام، متوفر في تغريدة لسام هيلر، 15 pm, 1:44 @AbuJamajem, November 2018.

⁷⁷ طبقاً لدبلوماسي غربي: "إذا كنت قتي في مخيم، تعتمد على صهرج الماء وسلّة غذائية، ويعرض عليك أحدهم أن تصبح مسؤولاً عن الأمن – فالمسألة تتعلق بالمال والمكانة، والشعور بأن لديك وظيفة السوريين في هذا الجزء في سورية يعتمدون كلياً على المساعدات الإنسانية. وهذه ليست طريقة كريمة في العيش. فالمسألة تتعلق بالمال، لكن أيضاً بشيء أكبر – المكانة الاجتماعية، إضافة إلى الأواصر العائلية، وما إلى ذلك". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد عبر تطبيق الرسائل، تركيا، تشرين الثاني/أكتوبر 2018. ناشط سوري قال: "الآن، المسألة تتعلق بالمال وحسب. لقد تلاشت القناة العقائدية [لهيئة تحرير الشام]. لقد بات رجالها مرتزقة الآن. يقول الناس: 'أنا أريد فقط أن أعمل، وتباً لكل شيء'". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أنطاكية، آب/أغسطس 2018.

⁷⁸ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع ناشط سوري وباحث سوري في إدلب على معرفة بهيئة تحرير الشام، أنطاكية وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، آب/أغسطس 2018.

النظام أو في المعارضة المسلحة.⁷⁹ المقاتلون الشباب الذين قضوا سنوات خارج المدرسة قد يكون من السهولة بمكان إقناعهم.⁸⁰

أما إذا ما كانت تلك الروح تساوي الجهادية السلفية الأيديولوجية أو التعصب لهيئة تحرير الشام، خصوصاً في ضوء ابتعادها عن بعض مسلمات السلفية الجهادية، فهو أمر غير مؤكد. مرة بعد أخرى، أظهرت هيئة تحرير الشام أنها تمتلك نزعة براغماتية، رغم أنه يبقى موضع جدل ما إذا كانت تلك البراغماتية تمثل تحولاً أيديولوجياً حقيقياً أو مجرد تكييف تكتيكي مؤقت.⁸¹ سمحت بانتشار قوات المراقبة التركية حول كامل منطقة خفض التصعيد؛ وقد احتفظت تلك القوات بمواقعها وتبدلت دخولاً وخروجاً دون أن تتعرض على الأغلب لمضايقات من قبل مسلحي إدلب.⁸² عندما صنفَت الولايات المتحدة صراحة هيئة تحرير الشام منظمة إرهابية في حزيران/يونيو 2018، اعترضت الهيئة قائلة إنها "ليست تنظيماً يهدد الخارج أو يمثل خطراً عليه".⁸³ في حزيران/يونيو أيضاً، أصدر المجلس الشرعي العام للتنظيم دفاعاً عنياً عن براغماتيته السياسية وعلاقاته الدولية.⁸⁴ الهجمات المستمرة بالطائرات المسيرة على قاعدة حميميم الجوية قبل اتفاق سوتشي - التي يبدو أنها أطلقت من قبل هيئة تحرير الشام أو سمحت هذه بإطلاقها - كان يصعب فهمها.⁸⁵ لكن هذه الهجمات توقفت بعد اتفاق سوتشي. في تشرين الأول/أكتوبر أصدر التنظيم بياناً يقبل فيه ضمناً

⁷⁹ قيل أن تتحرك هيئة تحرير الشام ضد خصومها في المعارضة المسلحة في كانون الثاني/يناير 2019، قال أحد قادة المعارضة المسلحة في الشمال الغربي: "هيئة تحرير الشام تتعامل مع أعضائها طبقاً للمرحلة التي تعيشها. قيل هذه المرحلة، كانت تقول لأعضائها: 'علينا أن نحارب حراس الدين، لأن مشروعهم القاعدي سيغلب الكارثة على الشمال'. ولذلك استعدوا لمحاربة حراس الدين. هذه معلومات مؤكدة. الآن يستعدون لمحاربة [فصائل معارضة مسلحة في أوساط] الجبهة الوطنية [للتحرير] لأنها تسيطر على الطرق السريعة الداخلية، وبالتالي يمكن لهيئة تحرير الشام تنفيذ البند الثاني من اتفاق سوتشي [أي فتح الطريقين السريعين]. الآن يقومون بإقناع أعضائهم، إذا كانت الجبهة الوطنية على هذه الطرق ونفذت هذا البند، سيشكل ذلك كارثة على الأمة الإسلامية وعلى الساحة. لكن إذا طردناهم وفرضنا سيطرتنا على الطرق، نستطيع أن ننفذ هذا البند، لكن بشرطنا! وذلك فهم يعدون أعضاءهم لاستهداف الفصائل على الطرق". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد عبر تطبيق الرسائل، كانون الأول/ديسمبر 2018. لقد ادعى العديد من المراقبين أن هيئة تحرير الشام تعد مقاتليها أيديولوجياً قبل التحرك ضد فصائل المعارضة المنافسة لها. على سبيل المثال، انظر "تعرف على أسباب إخلاء حركة نور الدين الزنكي لمواقعها وما هو مصيرها؟"، نداء سوريا، 5 كانون الثاني/يناير 2018.

⁸⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أنطاكية، آب/أغسطس 2018. قائد سابق في أحرار الشام قال: "عندما شكلت جبهة النصرة [قوتها الضاربة الرئيسية] جيش النصرة، جندوا شباباً في السابعة والثامنة عشرة من العمر، دون أن يكون لهم أي خلفية. أقاموا معسكرات تدريب وأعدوهم أيديولوجياً. ثم أعدوهم لحماية قائدهم؛ وكان ولاؤهم للجولاني. عملوا على إنشاء حرس جمهوري". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، ربحاني، آب/أغسطس 2018. لدى سؤال ناشط في محافظة هاتاي عما إذا كان من الممكن إصلاح المقاتلين العاديين الشباب، قال: "لا، لقد انتهوا. لقد باتوا مؤدلجين الآن. على النقيض من داعش [تنظيم الدولة الإسلامية]، الذي سيطر لفترة قصيرة من الزمن، فإن هيئة تحرير الشام، عندما كانت جبهة النصرة، موجودة منذ العام 2012. هؤلاء الناس غير مطلعين على أي ثقافة، حتى على الإسلام. لا يعرفون شيئاً، لا يعرفون القراءة حتى". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد عبر تطبيق الرسائل، كانون الأول/ديسمبر 2018.

⁸¹ طبقاً لسياسي في المعارضة السورية التقى قادة هيئة تحرير الشام، فإن "هيئة تحرير الشام، في نسختها الحالية، مختلفة عن القاعدة. ليست أيديولوجية إلى ذلك الحد. إنهم يتحدثون عن المستقبل كثيراً. وقوتهم العسكرية في ازدياد؛ وقدرتهم على فرض السيطرة في ازدياد؛ وقوتهم السياسية تتنامى". التنظيم متأثر جداً بطلان، على حد تعبير السياسي، بما في ذلك في مناوآته السياسية وبناء العلاقات الدولية. "إنهم يحاولون فعل المستحيل للحصول على القبول بانتقالهم إلى المرحلة التالية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أيلول/سبتمبر 2018. كان على هيئة تحرير الشام مواجهة منتقديها الجهاديين الذين يرون أن التنظيم "يمتدع" العقيدة الجهادية بشكل غير مقبول. على سبيل المثال، انظر "Diluting Jihad: Tahrir al-Sham and the Concerns of Abu Muhammad al-Maqdisi", Jihadica, 29 March 2017.

⁸² تعرضت القوات التركية للقصف من مواقع النظام ومن قنبلة مزروعة على جانب الطريق عندما انتشرت في البداية في ريف حلب الجنوبي في كانون الثاني/يناير 2018. حملت تركيا مسؤولية القنبلة المزروعة على جانب الطريق لوحدة حماية الشعب، المنظمة الكردية السورية التي لا تعتقد أنها تختلف عن حزب العمال الكردستاني. تركيا والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة تصنف حزب العمال الكردستاني تنظيماً إرهابياً. انظر إحاطة مجموعة الأزمات، تحاشي الكارثة في محافظة إدلب السورية، مرجع سابق.

⁸³ هيئة تحرير الشام، "الإدارة الأميركية الجديدة ... تكيل بمكيالين ضد الثورة السورية"، Jihadology، 1 حزيران/يونيو 2018. قيل انفصال التنظيم عن القاعدة، قال زعيمه أبو محمد الجولاني في العام 2015 إن جبهة النصرة كانت لديها تعليمات من زعيم القاعدة الظواهري بعدم شن هجمات خارجية تعرض "الجهاد في سورية للخطر"؛ ما مفاده ضمناً أن الخيار كان تكتيكيًا، عندما قال إن "الخيارات قد تكون مفتوحة" إذا استمر قصف الولايات المتحدة للتنظيم. "الجولاني: حزب الله زائل .. ولدينا ثأر مع العلويين"، بلا حدود، الجزيرة، 27 أيار/مايو 2015.

⁸⁴ هيئة تحرير الشام، "الجهاد والسياسة الشرقية بين الثوابت والمتغيرات"، Jihadology، 8 حزيران/يونيو 2018. في البيان، أصر المجلس الشرعي لهيئة تحرير الشام على أن الشريعة تظل المرجعية التي لا يمكن التفاوض عليها للتنظيم وأنه ملتزم بالجهاد كسائر للتغيير. لكنه قال أيضاً إن قدرة التنظيم تتفاوت، وأن أي طريقة للعمل يجب أن تأخذ ذلك بعين الاعتبار. وقال إن علاقات التنظيم بالبلدان الخارجية تقوم على مدى خدمة هذه العلاقات لمصالح الثورة والجهاد في سورية، في نطاق ما هو مسموح دينياً.

⁸⁵ انظر إحاطة مجموعة الأزمات، إنقاذ إدلب من التدمير، مرجع سابق.

باتفاق سوتشي، الذي احترمه التنظيم منذ ذلك الحين.⁸⁶ أولى دوريات تركيا بموجب اتفاق سوتشي مرت بأمان عبر المناطق التي تسيطر عليها هيئة تحرير الشام.⁸⁷

امتنعت قيادة التنظيم عن إنكار شائعات مفادها أنها قد تندمج في إطار جماعي للمعارضة المسلحة قد يكون أكثر قبولاً دولياً، أو أنها ستنفذ بنود اتفاق سوتشي بتأمين الطريقين السريعين الرئيسيين في إدلب.⁸⁸ يبدو أن "المؤتمر العام" الذي عقد مؤخراً خطوة نحو الهدف السابق.⁸⁹ بشكل عام، حافظت هيئة تحرير الشام على حوار مستمر مع تركيا، إما مباشرة أو عبر وسطاء سوريين.⁹⁰ في كل مرحلة، برر التنظيم وممثلوه التسويات التي توصلوا إليها.⁹¹ تبقى هيئة تحرير الشام ملتزمة علناً "بالجهاد" أما التزامها بالسلفية الجهادية العابرة للحدود على نمط تنظيم القاعدة، فهذا أقل وضوحاً.⁹² قائد سابق في المعارضة المسلحة قال:

تتغير هيئة تحرير الشام طبقاً للمرحلة التي تكون فيها. إنهم يعلمون رجالهم والعاملين معهم، أي قاعدتهم الشعبية: "الأشياء هي على هذا النحو الآن، بسبب المصلحة الفلانية". إذا ما هي هيئة تحرير الشام؟ سابقاً كان لديهم مشروع، وكان بوسعي أن أجيب: "إنها واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة". الآن، لا أحد يعرف.⁹³

بعض سياسيي المعارضة وأعضاء آخرين فيها يشيرون إلى تماسك هيئة تحرير الشام وسيطرة الجولاني الواضحة عليها للمجادلة بوجوب التعامل مع التنظيم كما هو، تحت قيادته الحالية، من أجل التفاوض على تسوية لإدلب. ويحذرون من أن البديل قد يكون الفوضى، أو التطرف الجهادي غير المنضبط.⁹⁴ القرارات العملية لهيئة تحرير الشام – بما في ذلك الأوامر التي تنزل لكل التنظيم والبيانات الأكثر تصاحياً للتنظيم – من الواضح أنها تصدر عن المستوى الأعلى فيه. مهما كانت الخلافات الداخلية في التنظيم، فإنه عندما واجه اختبارات محورية مثل انتشار القوات التركية وتدوير القوات داخل منطقة خفض التصعيد، تحرك كتنظيم موحد. أما الشخصيات الأكثر استقرازية في هيئة تحرير الشام، والذين اختلفوا بشكل واضح مع مواقف التنظيم، فقد تم تهميشهم.⁹⁵

⁸⁶ هيئة تحرير الشام، "ثورة الشام لن تموت"، Jihadology، 14 تشرين الأول/أكتوبر 2018.

⁸⁷ Temizer et al., "Turkish military completes patrols in Syria's Idlib", op. cit.

⁸⁸ عبد الرحيم عطون، "المسائل الست"، 5 شباط/فبراير 2019، متوفر على مدونة أيمن جواد التميمي.

⁸⁹ إضافة إلى تشكيل حكومة مدنية جديدة، أقر المؤتمر العام تأسيس مجلس عسكري يشمل جميع الفصائل المسلحة في إدلب. تغريدة للمؤتمر العام للثورة السورية، مرجع سابق.

⁹⁰ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع سياسيين سوريين وممثل عن فصيل في المعارضة المسلحة، تركيا، آب/أغسطس – أيلول/سبتمبر 2018.

⁹¹ على سبيل المثال، بررت شخصيات في هيئة تحرير الشام الانتشار العسكري التركي بوصفه شراً ضرورياً لتحاشي مواجهة عسكرية أكبر، لكنها خطوة لم تقوض حكم الإسلام أو تنهي "الجهاد". انظر، "HTS on ISIS, Turkey, and More", video, YouTube, 1 November 2017.

⁹² داخل الإطار الفكري للسلفية الجهادية، يعتقد أن هيئة تحرير الشام أقرب إلى المنظر عمر عثمان "أبو قتادة الفلسطيني"، الذي أقر بعض التحركات البراغمية لهيئة تحرير الشام. انظر، Cole Bunzel, "Abu Qatada al-Filistini: 'I am not a Jihadi, or a Salafi'", Jihadica, 26 October 2018. Sam Heller, "Rightsizing the Transnational Jihadist Threat", International Crisis Group, 12 December 2018; Cole Bunzel, "Jihadism on Its Own Terms", Hoover Institution, 17 May 2017.

⁹³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد عبر تطبيق الرسائل، كانون الأول/ديسمبر 2018.

⁹⁴ طبقاً لسياسي في المعارضة السورية، "الجولاني هو أسهل من يمكن التعامل معه لإيجاد حل. إنه مستعد لذلك". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تشرين الثاني/نوفمبر 2018. باحث سوري في إدلب على معرفة بهيئة تحرير الشام: "الكارثة هي في انتقال شريحة كبيرة من هؤلاء الجنود [من هيئة تحرير الشام] إلى فصائل غير منفتحة على الحل. إن حل هيئة تحرير الشام لن ينهي الأزمة بل سيطليها. من المهم أن تبقى هيئة تحرير الشام كما هي لصالح الحل السلمي في هذه الساحة، لأنها منفتحة على التفاهم، وهي [الطرف] الوحيد القادر على احتواء هذه القوة العقائدية السنية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد عبر تطبيق الرسائل، آب/أغسطس 2018.

⁹⁵ المثال الأوضح على ذلك هو المسؤول الشرعي لهيئة تحرير الشام أبو يقظان المصري، وهو مصري الجنسية. في موعظة نشرت في 30 كانون الأول/ديسمبر 2018، حذر أبو يقظان المشاركة في التدخل العسكري التركي في سورية شرق نهر الفرات أو منحه الشرعية. وقال إن معركة تركيا مع الجناح السوري من حزب العمال الكردستاني كانت معركة بين طرفين كافرين، لا مصلحة للمسلمين فيها. مؤسسة بلاغ للإعلام، "حكم المشاركة في معركة شرق الفرات"، Jihadology، 30 كانون الأول/ديسمبر 2018. في مقابلة بعد عدة أسابيع، خالف الجولاني تصريح أبو يقظان ومنح موافقة الضمنية للعملية التركية. أمجاد للإعلام المرئي، "الحوار: الاقتتال الداخلي ومستقبل الساحة الشامية"، مرجع سابق. في شباط/فبراير 2019، استقال أبو يقظان من التنظيم بعد ما ذكر من أنه تلقى عدة تحذيرات لخروجه عن خط الهيئة الشرعي ومن أنه سيواجه إجراءات تأديبية. "تأكيداً لما نشرته نداء سوريا عن خلافات بين قيادة تحرير الشام والتيار المصري.. أبو يقظان يترك التنظيم، نداء سوريا، 2 شباط/فبراير 2019.

ب. الجهاديون الآخرون

ثمة تنظيمات جهادية أخرى تعمل أيضاً في منطقة إدلب، بعضها أكثر إثارة للقلق دولياً من هيئة تحرير الشام. من حيث أن دولاً مثل الولايات المتحدة، وروسيا والصين مقتنعة بأن هذه التنظيمات تشكل تهديداً عالمياً، فإن وجودها من شأنه أن يقوي الحجة لشن هجوم على إدلب. إنها أصغر من هيئة تحرير الشام ونظرياً يمكن التعامل معها بطريقة أبسط مما يمكن التعامل مع هيئة تحرير الشام نفسها. رغم ذلك، وفي حين أنها منفصلة رسمياً عن هيئة تحرير الشام، فإنها ترتبط بالتنظيم بعلاقة غامضة أو تكاملية، وليس هناك وسيلة واضحة لتفكيك هذه العلاقة.

1. حراس الدين/غرفة عمليات و'حرض المؤمنين'

باستثناء هيئة تحرير الشام، فإن حراس الدين هو الفصيل الجهادي الأكثر بروزاً في الشمال الغربي، إن لم يكن الأهم عسكرياً. يقود حراس الدين مولون بارزون للقاعدة انشقوا عن جبهة النصرة خلال عملية تحولها إلى هيئة تحرير الشام.⁹⁶ ظهر التنظيم أولاً في شباط/فبراير 2018 وحصل على مبايعات من فصائل جهادية أصغر، بما في ذلك وحدات انشقت عن هيئة تحرير الشام.⁹⁷ في تشرين الأول/أكتوبر 2018 انضم إلى فصائل جهادية أخرى بإعلان غرفة عمليات "وحرض المؤمنين".⁹⁸ يرفض أعضاؤه ما يسمى بالحلول الاستسلامية مثل اتفاق سوتشي في أيلول/سبتمبر.⁹⁹ يتبنى خطابهم رؤية جهادية عالمية لا تقبل التسوية.¹⁰⁰

حراس الدين بارز إعلامياً لكنه أقل أهمية على الأرض.¹⁰¹ كجزء من "وحرض المؤمنين"، أعلن عن هجمات على مواقع للنظام، شملت إطلاق القذائف والقنص وغارات سرية تكون في بعض الأحيان مميتة لكن محدودة النطاق.¹⁰² يبدو أن التنظيم لا يمتلك إلا أسلحة خفيفة ولا يسيطر بشكل مباشر على أية مناطق. تشير التقديرات إلى أن عدد أعضائه نحو 700.¹⁰³ رغم ذلك، فإن مقاييس القوة العسكرية أو السيطرة على الأرض قد لا تكون أكثر أهمية إذا كان التنظيم يركز على شن حرب عصابات، وإذا أراد أن يحتفظ بموطئ قدم رمزي للقاعدة في سورية، أو إذا كان أعضاؤه يتطلعون أصلاً إلى ما هو أبعد من سورية.¹⁰⁴

ينظر إلى حراس الدين بشكل عام على أنه خصم لهيئة تحرير الشام، لكن يبدو أن علاقتهما أكثر تعقيداً. يهاجم قادة التنظيمين بعضهما بعضاً في التصريحات العلنية، لكن تشير بعض الأدلة إلى أن حراس الدين

⁹⁶ بين قيادة المجموعة قائدها العام سمير حجازي ("أبو همام الشامي"، "الفاروق السوري")، القائد العسكري السابق لجبهة النصرة والعضو المخضرم في القاعدة؛ والأردني سامي العريدي، المسؤول الشرعي للتنظيم والمسؤول الشرعي الأعلى السابق لجبهة النصرة. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع جهادي سابق وقائد في المعارضة المسلحة، تركيا وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، أب/أغسطس وتشرين الأول/أكتوبر 2018.

⁹⁷ على سبيل المثال، انظر جيش الملاحم، "بيان لجيش الملاحم"، Jihadology، 4 آذار/مارس 2018.

⁹⁸ غرفة عمليات وحررض المؤمنين، "إعلان تأسيس غرفة عمليات وحررض المؤمنين"، Jihadology، 17 تشرين الثاني/نوفمبر 2018. كما تشمل غرفة العمليات أنصار الدين، وهو تنظيم جهادي انضم في الأصل إلى هيئة تحرير الشام ومن ثم انفصل عنها في كانون الثاني/يناير 2018؛ وأنصار الإسلام، الجناح السوري للفصيل الجهادي العراقي البائد الذي كان يحمل الاسم نفسه.

⁹⁹ غرفة عمليات وحررض المؤمنين، "إعلان تأسيس غرفة عمليات وحررض المؤمنين"، Jihadology، 17 تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

¹⁰⁰ على سبيل المثال، انظر "New Ops Room Fights Through 'Ceasefire'", video, YouTube, 22 November 2018.

¹⁰¹ طبقاً لجهادي سابق مطلع على مشهد التنظيمات المسلحة في إدلب، "لقد بولغ كثيراً في أمرهم". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تركيا، أب/أغسطس 2018. مؤخراً، قال قائد سابق للمعارضة المسلحة: "حراس الدين انتهى بشكل أساسي. إنه اسم فارغ. اليوم، الأسماء هي لهيئة تحرير الشام وتركستان [أي الحزب الإسلامي التركستاني] ... كلها أكاذيب. كلام إعلامي". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد عبر تطبيق الرسائل، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

¹⁰² على سبيل المثال، انظر غرفة عمليات وحررض المؤمنين، "بيان حول الإغارة المباركة في كتف حسون (فالمغيرات صباحاً)"، Jihadology، 27 تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

¹⁰³ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع جهادي سابق، وسياسي سوري، ودبلوماسي وعامل في الشأن الإنساني، تركيا، أب/أغسطس وأيلول/سبتمبر 2018.

¹⁰⁴ لقد حث زعيم القاعدة أيمن الظواهري الجهاديين في سورية على التخلي عن السيطرة على الأرض وأن يعووا بدلاً من ذلك لشن حرب عصابات. ما يسمى بـ "جماعة خراسان" مثال على كيان لم يوجد كقوة عسكرية تقليدية مرئية في الحرب الأهلية السورية، إلا أنه شكل ما اعتبره مسؤولون أميركيون تهديداً وشيكاً. Ken Dilanian and Eileen Sullivan, "Al-Qaida's Syrian cell alarms US", Associated Press, 13 September 2014.

يعمل فعلياً في كنف هيئة تحرير الشام وأن الهيئة تقدم لحراس الدين دعماً مادياً.¹⁰⁵ إذا كانت هيئة تحرير الشام تدعم فعلاً حراس الدين، فإنها قد تكون طريقة لإبقاء هذا التنظيم الأخير تحت سيطرتها.¹⁰⁶

من بعض النواحي، فإن حراس الدين مفيد لهيئة تحرير الشام. إنه لا يشكل تهديداً ويسمح لهيئة تحرير الشام بالتخلص من بعض أعضائها الأكثر تشدداً، ما يفرض تمييزاً واضحاً ما بين هيئة تحرير الشام التي يطغى عليها الطابع السوري وتنظيم آخر منفصل رسمياً يضم جهاديين عابرين للحدود. لكن حتى إذا ساعد هذا التمييز في صرف الانتباه عن هيئة تحرير الشام، فإن الهيئة أثبتت عدم استعدادها حتى الآن للانقلاب كلياً على التنظيم الأصغر.

2. الحزب الإسلامي التركستاني في سورية

الحزب الإسلامي التركستاني في سورية فصيل مسلح معظم أفراده من الصينيين الإيغور وينشط في غرب إدلب. التنظيم هو الجناح السوري للحزب الإسلامي التركستاني الدولي، الذي يكرس نفسه لتأسيس دولة إسلامية في مقاطعة شينجيانغ غرب الصين، أو "تركستان الشرقية".¹⁰⁷ يقاتل الحزب الإسلامي التركستاني في سورية ضد نظام الأسد، لكن هدفه المعلن هو تحويل بنادقه لاحقاً ضد الصين.¹⁰⁸

التأم الفصيل السوري في الحزب الإسلامي التركستاني أصلاً في العام 2013، واجتذب الإيغور في المنفى وإيغور الشتات الموجودين أصلاً في تركيا.¹⁰⁹ ظهر التنظيم إلى العلن عندما شارك في السيطرة في العام 2015 على مدينة جسر الشغور في إدلب، حيث استولى على مخزونات كبيرة من الأسلحة خلال المعركة. وقد أصبح أحد أقوى الفصائل عسكرياً في شمال غرب سورية منذ ذلك الحين.¹¹⁰ وقد احتل أفراده عدداً من البلدات في منطقة جسر الشغور المغلقة أمام غير سكانها.¹¹¹

¹⁰⁵ محادثات الصلح بين هيئة تحرير الشام والمولين للقاعدة الذين شكلوا لاحقاً حراس الدين استمرت حتى كانون الثاني/يناير 2018. "جهاد ووفاء" (سمير حجازي)، تلغرام، 8 كانون الثاني/يناير 2018؛ "الشيخ عبد الرحيم عطون"، تلغرام، 9 كانون الثاني/يناير 2018. في 5 كانون الثاني/يناير، ذكر أن قائد هيئة تحرير الشام الجولاني وحجازي توصلا إلى اتفاق عمل. في 1 شباط/فبراير 2019، نشر ما يعتقد أنه قاضي الجناح العسكري في هيئة تحرير الشام ما قال إنه محضر لاجتماع واتفاق القائدين، الذي ألزم هيئة تحرير الشام بتقديم مناطق عمليات لما سيصبح حراس الدين وتزويد وحدات التنظيم بالعتاد. "الزبير الغازي"، تلغرام، متوفر في تغريدة لسام هيلر، @AbuJamajem، 6:34 pm، 2 February 2019. من غير الواضح ما إذا كان الاتفاق ملزماً؛ فيعد توقيع حجازي، ذكر أن تنظيمه طالب بتعديلات إضافية وأن هيئة تحرير الشام رفضت. رغم هذا الغموض، فإن مصادر متعددة تشير إلى بنود أساسية في الاتفاق – بما في ذلك تقديم الدعم المادي لحراس الدين – تم الوفاء بها منذ ذلك الحين. "الزبير الغازي"، تلغرام، متوفر في تغريدة لسام هيلر، @AbuJamajem، 10:09 pm، 24 October 2018. في 10 شباط/فبراير 2019، توصلت هيئة تحرير الشام وحراس الدين إلى اتفاق جديد لتسوية النزاعات المغلقة وتحديد شروط التعاون. "الشيخ أبو مالك الشامي"، تلغرام، متوفر في تغريدة لسام هيلر، @AbuJamajem، 9:40 am، 11 February 2019. كما أن التنظيميين متداخلين جغرافياً. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع نشطاء ومع قائد سابق في المعارضة المسلحة، تركيا، وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، أب/أغسطس، تشرين الثاني/نوفمبر وكانون الأول/ديسمبر 2018.

¹⁰⁶ بشأن حراس الدين، قال سياسي سوري التقى قادة هيئة تحرير الشام: "إنهم مستقلون [عن هيئة تحرير الشام]، لكنهم تحت المراقبة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، اسطنبول، أيلول/سبتمبر 2018.

¹⁰⁷ لمراجعة قائمة عقوبات الأمم المتحدة التي تشمل المنظمة الأم للحزب الإسلامي التركستاني في سورية، انظر مجلس الأمن، United Nations Security Council، "Eastern Turkistan Islamic Movement"، 7 April 2011.

¹⁰⁸ مقابلة أجراها باحث في مجموعة الأزمات بصفة سابقة، ومع سياسي سوري اجتمع مع قيادة الحزب الإسلامي التركستاني، اسطنبول، آذار/مارس 2017. انظر أيضاً، "Gerry Shih، "Uighurs fighting in Syria take aim at China"، Associated Press، 23 December 2017. في مقابلة مع مجلة التنظيم الناطقة باللغة العربية، يقول نائب قائد الحزب إن الفرع السوري في التنظيم تأسس بأهداف "معلنة وسرية"، من بينها إعداد كوادر من المقاتلين الإيغور المتمرسين في المعارك والترويج لقضية تركستان. الحزب الإسلامي التركستاني، "تركستان الإسلامية رقم 24"، Jihadology، 6 تشرين الأول/أكتوبر 2018. انظر أيضاً، Mohanad Hage Ali، "A Different Type of Jihadi"، Carnegie's Diwan، 30 August 2017.

¹⁰⁹ Humeyra Pamuk، "Turkish help for Uighur refugees looms over Erdogan visit to Beijing"، Reuters، 27 July 2015. هناك أيضاً سوريون وأشخاص ليسوا من الإيغور يقابلون مع الحزب الإسلامي التركستاني في سورية، بمن فيهم مقاتلون أجانب أعلن عنهم التنظيم في نشراته الإعلامية. انظر الحزب الإسلامي التركستاني في سورية، "الهجرة إلى الله"، Jihadology، 21 أيار/مايو 2018؛ الحزب التركستاني في سورية، "أبطالنا الشهداء"، Jihadology، 9 تموز/يوليو 2018.

¹¹⁰ مقابلة أجراها باحث في مجموعة الأزمات بصفة سابقة، ومع ناشط من إدلب، أنطاكية، أيار/مايو 2016.

¹¹¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عامل في الشأن الإنساني، تركيا، أب/أغسطس 2018. انظر أيضاً "Undercover in Idlib"، video، Youtube، 15 May 2017.

الحزب الإسلامي التركستاني في سورية حليف وثيق لهيئة تحرير الشام.¹¹² يدعي البعض أنه بايع الجولاني سرأ، رغم أن التنظيم يحتفظ ظاهرياً ببيعة لزعيم طالبان أفغانستان.¹¹³ يتبنى التنظيم العمل المسلح الإسلامي ويستخدم الهجمات الانتحارية، لكن طبقاً لبعض الروايات، فإنه لا ينتمي إلى "السلفية الجهادية" تقنياً.¹¹⁴ بل إنه يكرس نفسه لقومية إسلامية محددة جغرافياً ويركز على عدوه الصيني.¹¹⁵ بصرف النظر عن التسميات، من الواضح أن الحزب الإسلامي التركستاني خطير دولياً، ويشكل هواجس أمنية للصين ودول أخرى.¹¹⁶ يبدو من غير المرجح أن تنقلب هيئة تحرير الشام على التنظيم، في سلوك ينتهك وعدها بعدم المساومة على المقاتلين الأجانب.¹¹⁷ كان الحزب الإسلامي التركستاني بين عدد من التنظيمات الأجنبية بشكل عام ومقاتلين أجانب بارزين داخل وخارج هيئة تحرير الشام عبروا عن تضامنهم مع الهيئة في شباط/فبراير 2019.¹¹⁸

3. جهاديون متفردون

يوجد أيضاً عدد من التنظيمات الجهادية الأصغر أو التي تعمل سرأ وتنشط في إدلب. على سبيل المثال، عاد بعض بقايا تنظيم جند الأقصى المتشدد المنشق عن جبهة النصرة حول بلدات سراقب وسرمين تحت اسم "أنصار التوحيد".¹¹⁹ كما يبدو أن هناك بعض الوجود السري لتنظيم الدولة الإسلامية في الشمال الغربي، رغم أن هيئة تحرير الشام وفصائل المعارضة المسلحة الأخرى أجبرت التنظيم على العودة إلى العمل السري وقلصت من قدراته. كانت خلايا تنظيم الدولة الإسلامية مسؤولة عن موجة من التفجيرات والاغتيالات في إدلب في العام 2018، تصاعدت إلى هجمات علنية على مجموعات المعارضة المسلحة الأخرى في حزيران/يونيو.¹²⁰ بعد ذلك قمعتهم هيئة تحرير الشام وغيرها من فصائل المعارضة المسلحة، وبنجاح فيما يبدو. أطلقت هيئة تحرير الشام حملة مدهامات على ملاذات معروفة لتنظيم الدولة، تبتعتها سلسلة من عمليات التمشيط الأمنية والاعتقالات بحق أعضاء مزعومين في التنظيم.¹²¹ مؤتمر صحفي عقده في كانون الأول/ديسمبر وزير الداخلية اللبناني نهاد المشنوق أوضح الأثر الذي أحدثته حملة فصائل المعارضة المسلحة ضد تنظيم الدولة الإسلامية.¹²²

¹¹² لقد وقف الحزب الإسلامي التركستاني مع هيئة تحرير الشام في صدامات الهيئة مع خصومها في المعارضة المسلحة. انظر شبكة إباء الإخبارية، "الحزب الإسلامي التركستاني في خندق واحد مع تحرير الشام"، 25 شباط/فبراير 2018.

¹¹³ على سبيل المثال، انظر تغريدة مزجر الشام، @MzmjSh, 1:20 pm, 27 February 2018. سياسي في المعارضة السورية التقى قيادة الحزب الإسلامي التركستاني قال إن التنظيم بايع زعيم طالبان. مقابلة أجراها باحث في مجموعة الأزمات بصفة سابقة، مرجع سابق.

¹¹⁴ مقابلة أجراها باحث في مجموعة الأزمات بصفة سابقة، ومع سياسي سوري التقى قيادة الحزب الإسلامي التركستاني. لمراجعة أمثلة على استخدام الحزب الإسلامي التركستاني للتفجيرات الانتحارية، انظر Caleb Weiss, "Suicide bombings detail Turkistan Islamic Party's role in Syria", FDD's Long War Journal, 3 May 2017.

¹¹⁵ لقد أبرز النظام السوري دور الحزب الإسلامي التركستاني لمحادثته في الحكومة الصينية، الذين من الواضح أنهم ما يزالون مهتمين بالتنظيم. Bassem Mroue and Gerry Shih, "Chinese jihadis' rise in Syria raises concerns at home", Associated Press, 22 April 2017. Ben Blanchard, "China envoy says no accurate figure on Uighurs fighting in Syria", Reuters, 20 August 2018. ادعت الصين أن الحزب الإسلامي التركستاني في سورية وجه هجوماً على السفارة الصينية في عاصمة قرغيزستان بشكيبك، تلقى تمويلاً للقيام بها من جبهة النصرة. Olga Dzyubenko, "Kyrgyzstan says Uighur militant groups behind attack on China's embassy", Reuters, 6 September 2016.

¹¹⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي أسبوي، بيروت، كانون الثاني/يناير 2019.

¹¹⁷ انظر الحاشية 40 أعلاه.

¹¹⁸ "الإدريسي - رسمي"، تلغرام، متوفر عبر تغريدة لسام هيلر، @AbuJamajem, 6 February 2019 @10:41 am.

¹¹⁹ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع ناشط وقائد في المعارضة المسلحة ومحلل للشؤون الإنسانية، عن بعد عبر تطبيق الرسائل وبيروت، تشرين الأول/أكتوبر - تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

¹²⁰ "تهديد تنظيم الدولة لمحافظة إدلب يبلغ ذروته .. والفصائل العسكرية توجه له ضربتين"، نداء سوريا، 22 حزيران/يونيو 2018. لإعلان تنظيم الدولة الإسلامية مسؤوليته، انظر "سقوط 15 من عناصر الصحوات في عمليات أمنية في محافظة إدلب"، النشأ، العدد 139، Jihadology، 12 تموز/يوليو 2018.

¹²¹ لمثال على ذلك، انظر "مدهامة هيئة تحرير الشام لأوكار عصابة البيغادي في بلدة تل منس بريف إدلب الجنوبي الشرقي، شبكة إباء الإخبارية، 10 تشرين الثاني/نوفمبر 2018. من غير الواضح ما إذا كان الأشخاص الذين كان لهيئة تحرير الشام وغيرها خلافات معهم قد اعتقلوا في المدهامات التي استهدفت أفراداً مزعومين في تنظيم الدولة.

¹²² المشنوق وصف كيف أدارت الأجهزة الأمنية اللبنانية عميلاً مزدوجاً له اتصالات مع كوادر تنظيم الدولة الإسلامية داخل إدلب، حيث وجهه أعضاء تنظيم الدولة للقيام بهجمات إرهابية في لبنان. كان عرض المشنوق يهدف بشكل رئيسي إلى إبراز نجاح الأمن اللبناني في إحباط هجمات إرهابية داخل لبنان، لكنه أظهر أيضاً كيف أنه، داخل إدلب، كان يتم اعتقال هؤلاء الأفراد في تنظيم الدولة الإسلامية وقتلهم من قبل هيئة تحرير الشام. بعد أن قام هؤلاء الأعضاء في تنظيم الدولة في إدلب في البداية بتنسيق الهجمات مع العميل المزدوج للأمن اللبناني، أصبحوا أقل تواصلًا لأنهم اختبأوا أو تم اعتقالهم كجزء من الحملة التي قامت بها

ج. المعارضة المسلحة غير الجهادية

إلى الحد الذي كان هناك أي أمل بقدره المعارضة المسلحة السورية على إضعاف أو حتى محاربة هيئة تحرير الشام والجهاديين الآخرين في منطقة إدلب، فإن ذلك الأمل كان معقوداً على الفصائل غير الجهادية. لكن خصوصاً بعد كانون الثاني/يناير 2019، من الواضح أنها لا تستطيع تحدي هيئة تحرير الشام داخل إدلب؛ بل إن كل ما تستطيع فعله هو المحافظة على وجودها إلى جانب أو بالتحالف مع فصائل جهادية أكثر قوة.

عند لحظة معينة، كان لهذه الفصائل الأخرى هويات سياسية وأيديولوجية أكثر تبلوراً. لكن بمرور الوقت، فإن هذه التمايزات تراجع في أهميتها. الآن، لا تمثل هذه التنظيمات مشروعاً سياسياً محدداً، باستثناء الالتزام العام بقضية المعارضة السورية والدفاع عن الشمال الغربي الذي تسيطر عليه المعارضة المسلحة.¹²³

1. الجبهة الوطنية للتحرير

"الجبهة الوطنية للتحرير" هي التحالف المدعوم من تركيا الذي يشمل الآن معظم فصائل المعارضة غير الجهادية في الشمال الغربي.¹²⁴ لكن يبدو أن الجبهة تمثل تسمية مشتركة أكثر مما تعكس اندماجاً حقيقياً للفصائل الأعضاء فيها.¹²⁵ إضافة إلى الفصائل الرئيسية أدناه، فإن الجبهة تضم أيضاً فصائل أصغر في "الجيش السوري الحر" وجيش الأحرار المنشق عن أحرار الشام.

فيلق الشام هو الشريك الأوثق لتركيا بين فصائل المعارضة المسلحة والعمود الفقري للجبهة الوطنية للتحرير.¹²⁶ عندما سيرت تركيا أولى دورياتها في المنطقة منزوعة السلاح حول إدلب في 8 آذار/مارس 2019، تمت مرافقة القوات التركية من قبل وحدات فيلق الشام.¹²⁷ تأسس الفيلق من قبل شخصيات مرتبطة بالإخوان المسلمين في سورية، رغم أن وصف التنظيم بأنه الذراع العسكري للإخوان غير دقيق.¹²⁸ التنظيم موجود في سائر أنحاء منطقة إدلب في المناطق التي تسيطر عليها تركيا بشكل مباشر أكثر في محافظة حلب.¹²⁹ لقد تعاون سابقاً مع جبهة النصرة وهيئة تحرير الشام ويحتفظ بعلاقات عمل مع الهيئة.¹³⁰

هيئة تحرير الشام وغيرها من فصائل المعارضة المسلحة على التنظيم في صيف العام 2018. وحدد المشنوق أحد أفراد داعش الذين أداروا العمل المزدوج في فيديو لهيئة تحرير الشام، قامت فيه الهيئة بإعدام عدد من أفراد تنظيم الدولة الإسلامية. "المشنوق يكشف عن عملية 'الجبهة القاتلة' التي أنقذت لبنان"، فيديو، يوتيوب، 10 كانون الأول/ديسمبر 2018.

¹²³ قائد سابق في المعارضة المسلحة قال: "فيما يتعلق بمشروعهم، فإنهم جميعاً متشابهون ... إن هدف جميع فصائل الجيش [السوري] الحر في الجبهة الوطنية للتحرير هو حماية ما تبقى من المناطق المحررة والعمل على تشكيل جيش موحد لقيادة الشمال". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بُعد عبر تطبيق الرسائل، كانون الأول/ديسمبر 2018.

¹²⁴ تقدم تركيا الأسلحة والرواتب لفصائل الجبهة الوطنية للتحرير، رغم أن المعارضة المسلحة تقول إن الدعم التركي قليل. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع سياسي في المعارضة المسلحة وقادة فصائل معارضة، أيلول/سبتمبر، تشرين الثاني/نوفمبر وكانون الأول/ديسمبر 2018.

¹²⁵ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة في المعارضة المسلحة، تركيا وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، أيلول/سبتمبر، تشرين الثاني/نوفمبر وكانون الأول/ديسمبر 2018.

¹²⁶ العديد من أفراد المعارضة والمسؤولون الأجانب ينظرون إلى فيلق الشام بوصفه ذراعاً للسياسة التركية. طبقاً لأحد قادة المعارضة المسلحة: "الجبهة الوطنية للتحرير، أي الفيلق، تتحرك بالأوامر التركية، مئة بالمئة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بُعد عبر تطبيق الرسائل، تشرين الثاني/نوفمبر 2018. عندما أرادت الحكومة التركية إظهار تنفيذ اتفاق سوتشي في 10 تشرين الأول/أكتوبر 2018، رافقت قوات الأمن التركية صحفيين دوليين إلى ريف حلب الغربي مع مقاتلي "الجبهة الوطنية للتحرير" الذين كان يبدو أنهم ينتمون إلى فيلق الشام. Carlotta Gall, "Syrian Rebels Withdraw Heavy Weapons to Spare Idlib From Assault", *The New York Times*, 10 October 2018. هو القائد العام للجبهة الوطنية للتحرير، بينما توزع المناصب الأخرى بين الفصائل الأخرى الأعضاء في الجبهة. "تعرف على أبرز قيادات الجبهة الوطنية للتحرير"، **عنب بلدي**، 1 آب/أغسطس 2018.

¹²⁷ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي غربي وممثل سياسي لأحد فصائل المعارضة المسلحة عن بعد عبر تطبيق الرسائل، آذار/مارس 2019.

¹²⁸ مسؤول في الإخوان المسلمين في سورية قال: "بعض أولئك الذين أسسوا فيلق الشام كانوا من الإخوان. لكن الفيلق لا ينتمي إلى الإخوان؛ ففكراته مستقلة. الآن، إذا كان فيلق الشام يعمل في منطقة معينة، قد ينضم إليه بعض الأعضاء في الإخوان. لكنك لا تستطيع القول إنه ينتمي إلى الإخوان المسلمين". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، اسطنبول، أيلول/سبتمبر 2018. للمزيد، انظر Raphaël Lefèvre and Ali El Yassir, "The Sham Legion: Syria's Moderate Islamists", *Carnegie's Diwan* (blog), 15 April 2014.

¹²⁹ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول حكم محلي سابق، وناشط سوري، وممثل لفصيل في المعارضة المسلحة، تركيا وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، أيلول/سبتمبر وتشرين الثاني/نوفمبر 2018. الناشط السوري قال: "فيلق الشام القاسم مشترك بين إدلب وغصن الزيتون ودرع الفرات. الفيلق سيكون المستقبل. كل من يعمل في الإدارة المدنية، أو الحكومة أو السياسة سينتمي إلى الفيلق".

لقد حيد نفسه عن الصدامات بين هيئة تحرير الشام وغيرها من فصائل المعارضة المسلحة.¹³¹ بعد أن أخرجت هيئة تحرير الشام حركة نور الدين الزنكي من ريف حلب الغربي، استوعب فيلق الشام العديد من الفصائل المحلية الأصغر التي تركتها وراءها.¹³² لقد ادعى قادة حراس الدين أن هيئة تحرير الشام تخطط لتعيين ضابط سوري منشق، على الأرجح من فيلق الشام، قائداً اسمياً لكيان عسكري مندمج.¹³³

كان أحرار الشام وصقور الشام من بين المجموعات القيادية الأولى في المعارضة المسلحة السورية في الشمال الغربي وكانت الفصائل المحلية ذات الطبيعة الأيديولوجية الإسلامية الأكثر وضوحاً.¹³⁴ على مدى سنوات، تنافس أحرار الشام مع جبهة النصرة على السيطرة على منطقة إدلب.¹³⁵ إضافة إلى حركة نور الدين الزنكي، كان أحرار الشام وصقور الشام آخر الفصائل المسلحة الرئيسية في منطقة إدلب المعارضة لهيئة تحرير الشام. قاتلت هذه الفصائل مع هيئة تحرير الشام في مطلع العام 2018، وفكت قبضتها عن الشمال الغربي. في كانون الثاني/يناير 2019، تصاعد الصراع مرة أخرى بين هيئة تحرير الشام ونور الدين الزنكي. اكتسحت هيئة تحرير الشام مناطق نور الدين الزنكي في ريف حلب الغربي وأنهت الحركة فيما يبدو عملياً.¹³⁶ انضم أحرار الشام وصقور الشام لفترة وجيزة إلى القتال، لكن بعد انهيار نور الدين الزنكي، استسلمت لهيئة تحرير الشام.¹³⁷ غادر بعض المقاتلين ريف حلب الشمالي بينما ظل آخرون في مناطقهم تحت وصاية هيئة تحرير الشام.¹³⁸ اليوم، يمثل التنظيم بشكل رئيسي المجتمعات المحلية التي يسيطران عليها في ريف إدلب الجنوبي وريف حماه الشمالي.¹³⁹ في المناطق التي يتقاطع فيها جغرافياً، يصعب التمييز بينهما.¹⁴⁰ لم يعودا يشكلان تهديداً فعلياً لهيئة تحرير الشام.

¹³⁰ شارك فيلق الشام في غرفة عمليات "جيش الفتح" إلى جانب جبهة النصرة، وأحرار الشام وفصائل أخرى في العام 2015. طبقاً لسياسي في المعارضة السورية، فإن "علاقة الفيلق مع هيئة تحرير الشام ليست متوترة. لم تكن الهيئة معادية للأشخاص الذين يشاركون في أسنانه والذين يحبهم الأتراك، لأنهم باتوا مقتنعين بأن الأتراك يدافعون عن استقرار إدلب". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، آب/أغسطس 2018.

¹³¹ فيما يتعلق بامتناع فيلق الشام عن القتال في المعارك التي دارت بين هيئة تحرير الشام وغيرها من فصائل المعارضة في مطلع عام 2018، قال ناشط سوري: "إذا أردت أن تعرف كيف يفكر الأتراك، راقب تحركات فيلق الشام". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أيلول/سبتمبر 2018.

¹³² "كتائب والوية بريفي حلب وإدلب تعلن انضمامها لـ 'فيلق الشام'، نداء سوريا، 15 كانون الثاني/يناير 2019.

¹³³ أبو همام الشامي وسامي العريدي، "وفي كل ما تختلفون فيه أمره عند الله"، Jihadology، 30 كانون الثاني/يناير 2019. قائد سابق في المعارضة الإسلامية المسلحة قال إن فيلق الشام كان "رمادياً" و"غامضاً" منذ البداية: "لقد أنشأ كي لا يصطدم مع أي طرف، بل ليستوعب الجميع في النهاية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تركيا، آب/أغسطس 2018. آخرون تكهنوا أيضاً أن الهدف من فيلق الشام كان البقاء بعد غزبة المعارضة المسلحة وأن يظل التنظيم المنتصر الأخير. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع نشطاء سوريين، ومع سياسي في المعارضة السورية ومع دبلوماسي غربي، تركيا، آب/أغسطس وتشرين الثاني/نوفمبر 2018.

¹³⁴ تقرير مجموعة الأزمات، هل هو الجهاد؟، مرجع سابق؛ Sam Heller، "Ahrar al-Sham's Revisionist Jihadism"، War on the Rocks، 30 September 2015.

¹³⁵ انظر "The Home of Syria's Only Real Rebels"، The Daily Beast، 17 June 2016؛ Sam Heller، "Keeping the Lights on in Rebel Idlib"، op. cit.

¹³⁶ Noufal and Clark، "HTS seizes key Aleppo province town as group continues to assert itself over rebel-held northwest"، op. cit.

¹³⁷ "تحرير الشام والوطنية للتحرير لتتوصلان إلى اتفاق نهائي، وهذه بنوده"، نداء سوريا، مرجع سابق.

¹³⁸ Waleed Khaled a-Noufal and Barrett Limoges، "With evacuations of Turkish-backed rebels ongoing, hardline coalition HTS cements control over majority of Syria's northwest"، Syria Direct، 17 January 2019؛ "تحرير الشام تتوصل إلى اتفاق جديد مع بقية الفصائل"، زمان الوصل، 20 كانون الثاني/يناير 2019.

¹³⁹ يتركز صقور الشام وأحرار الشام في جبل الزاوية؛ ومنطقة جبل الأربعين، بما في ذلك أريحا؛ وحول معرة النعمان. وكان أحرار الشام قوياً أيضاً في سهل الغاب في حماه، وهو المكان الذي نشأت فيه الحركة، رغم أن هيئة تحرير الشام حلت الحركة جزئياً هناك في كانون الثاني/يناير 2019. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد سابق في المعارضة المسلحة، وسياسي في المعارضة السورية، ومسؤول سوري سابق في الحكم المحلي، ونشطاء سوريين، تركيا وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، آب/أغسطس، تشرين الثاني/نوفمبر وكانون الأول/ديسمبر 2018.

¹⁴⁰ طبقاً لقائد سابق في المعارضة المسلحة، "ليس هناك فرق إلا بالاسم، عندما يتعلق الأمر بالأحرار والصقور". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات عن بعد عبر تطبيق الرسائل، كانون الأول/ديسمبر 2018. بين آذار/مارس 2015 وأيلول/سبتمبر 2016، شكل صقور الشام رسمياً جزءاً من أحرار الشام.

2. جيش العزة

جيش العزة فصيل مسلح محلي يسيطر على جزء من ريف حماه الشمالي يشتعل بانتظام في صراع مفتوح.¹⁴¹ الجيش ليس عضواً في الجبهة الوطنية للتحرير، وعلاقاته ضعيفة مع معظم الداعمين الدوليين للمعارضة، بما في ذلك تركيا.¹⁴² لا يتميز التنظيم بطبيعة أيديولوجية محددة، لكنه يعمل إلى جانب الجهاديين، والعديد منهم من أهل المنطقة.¹⁴³

تنتشر وسائل إعلام النظام تقارير عن صدامات بين الجيش السوري وجيش العزة بشكل شبه يومي.¹⁴⁴ إذا اندلعت مواجهة أكبر في شمال غرب سورية، من المرجح أن يكون جيش العزة في مركزها.

¹⁴¹ ناشط سوري قال إن الصدامات في منطقة جيش العزة ذات طبيعة طائفية، حيث تتصارع البلدات فيما بينها: "الجميع هناك ينامون بين أشجار الزيتون. هل تعرف لماذا تتعرض إلى هذا القدر من القصف؟ لأنه في تلك المنطقة، هناك قرية علوية وجوارها قرية سنية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تركيا، آب/أغسطس 2018.

¹⁴² قطع الدعم عن جيش العزة من قبل غرفة العمليات الدولية المشتركة التي تقودها الولايات المتحدة قبل تفكيك تلك الغرفة. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي عربي وأحد قادة المعارضة المسلحة، تركيا وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، تشرين الثاني/نوفمبر 2018 وكانون الثاني/يناير 2019.

¹⁴³ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع ناشط سوري وقائد في المعارضة المسلحة، تركيا وعن بعد عبر تطبيق الرسائل، آب/أغسطس 2018 وكانون الثاني/يناير 2019.

¹⁴⁴ على سبيل المثال، انظر "الجيش يدمر مدافع هاون ومنصات إطلاق قذائف لمجموعات إرهابية اعتدت على المناطق الآمنة بريف حماه"، سانا، 1 آذار/مارس 2019.

IV. لا خيارات جيدة لإدلب

ما من طريقة واضحة أو سهلة للرجوع من حالة الهيمنة التي تفرضها هيئة تحرير الشام على الشمال الغربي الذي تسيطر عليه المعارضة المسلحة. ولا يبدو أن هناك حلاً سيرضي جميع الأطراف، أو يمكن أن يتحقق دون كلفة كبيرة.

أ. الأطراف المعنية

روسيا وتركيا هما الدولتان الضالعتان بشكل أكثر مباشرة في إدارة إدلب. إن قرار روسيا بشأن ما إذا كانت ستقدم دعماً جويًا وأشكال أخرى من الدعم لقوات النظام السوري ستحدد ما إذا كان الهجوم على إدلب قابلاً للتحقق. وفي الوقت نفسه، فإن روسيا لم توضح نواياها في إدلب أو الحد الأدنى من متطلباتها الملموسة لأي حل.¹⁴⁵

بعض الأوجه تبدو واضحة نسبياً؛ فروسيا مصرة على تحقيق النصر لحليفها السوري واستعادة سيادته على كامل الأراضي السورية؛ كما تبدو مصلحة روسيا في إدلب مدفوعة جزئياً بوجود مقاتلين من القوقاز وآسيا الوسطى.¹⁴⁶ جدير بالملاحظة أنه منذ كانون الثاني/يناير 2019، تبنى المسؤولون الروس لهجة سلبية بشكل متزايد حيال استيلاء هيئة تحرير الشام على إدلب وانتهاكاتها المتواصلة لوقف إطلاق النار.¹⁴⁷ باختصار، فإن روسيا تريد من تركيا أن تقي بوعدها في التعامل مع جهاديين إدلب ووقف هجمات المسلحين على حميميم والمواقع العسكرية السورية.¹⁴⁸

من شأن الانتصار العسكري في إدلب أن يعني تعريض العملية السياسية السورية للخطر، وهي العملية التي تريدها روسيا لإكمال انتصارها في سورية، والتي تشكل تركيا راعياً مشتركاً لها. كما وفرت قمة اسطنبول الرباعية في تشرين الأول/أكتوبر لروسيا أيضاً فرصة للانخراط الدبلوماسي مع الأوروبيين، وهي فرصة قد تضحى بها موسكو إذا دعمت هجوماً في إدلب.¹⁴⁹ الأكثر أهمية من كل ذلك، هو أن هجوماً من ذلك النوع سيعرض للخطر العلاقة الثنائية الأوسع لموسكو بأنقرة، والتي أصبحت محورية استراتيجياً للرئيس بوتين. روسيا حريصة جداً على ألا تفعل أي شيء من شأنه أن يدفع الرئيس أردوغان مباشرة إلى المعسكر الأميركي.¹⁵⁰ المسؤولون الروس يقولون إن قضايا ثنائية أخرى، مثل شراء تركيا لنظام الدفاع الصاروخي الروسي S-400، من المرجح أن تكون أكثر أهمية من إدلب.¹⁵¹ في نفس المقابلة التي استعملها وزير الدفاع خلوصي أكار لإعلان بداية الدوريات التركية في المنطقة المنزوعة السلاح في إدلب، قال أكار أيضاً إن شراء الـ S-400 "لم يكن خياراً بل ضرورة".¹⁵² وفي تجاهل للضغوط الأميركية لإلغاء شراء الـ S-400، قال الرئيس أردوغان إن الصفقة قد تمت وانتهى الأمر.¹⁵³

¹⁴⁵ دبلوماسي غربي تساءل: "ما الذي تتوقعه روسيا بشكل ملموس؟ هل تتوقع أن تقوم تركيا بقتل جميع أفراد الحزب الإسلامي التركيستاني؟ جميع الشيشان؟ ليس واضحاً". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تركيا، آب/أغسطس 2018.

¹⁴⁶ طبقاً لدبلوماسي غربي، "بعض ذلك مدفوع بمصلحة ذاتية، من حيث أن [الروس] مهتمون بإعادة ربط دول جوارهم معهم. لكن ليس كل ذلك من قبيل الأخبار الكاذبة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، واشنطن، كانون الثاني/يناير 2019.

¹⁴⁷ على سبيل المثال، انظر وزارة الشؤون الخارجية في الاتحاد الروسي، Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, "Briefing by Foreign Ministry Spokesperson Maria Zakharova, Moscow, January 31, 2019", 31 January 2019.

¹⁴⁸ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين روس، موسكو، شباط/فبراير 2019.

¹⁴⁹ فيما يتعلق بقمة اسطنبول، قال دبلوماسي غربي: "الآن باتت الرهانات أعلى [بالنسبة لروسيا]، من حيث العودة إلى نهج المواجهة. وطبقاً لذلك المنطق، فإنها حتى كفرصة لالتقاط الصور التذكارية، كانت تستحق ذلك، كي تزيد من صعوبة قيام روسيا بغزو إدلب". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

¹⁵⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول روسي، موسكو، شباط/فبراير 2019.

¹⁵¹ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين روس، موسكو، شباط/فبراير 2019.

¹⁵² Ali Murat Alhas and Beyza Binnur Donmez, "Turkey, Russia starting patrols around Idlib, Syria", Anadolu Agency, 8 March 2019.

¹⁵³ Ali Murat Alhas and Sibel Morrow, "Turkey buying Russian S-400s a done deal: Erdogan", Anadolu Agency, 6 March 2019.

نتيجة لذلك، وفي حين أخبر المسؤولين الروس نظراءهم الأجانب أن قضية إدلب في النهاية ستحسم عسكرياً،¹⁵⁴ يعتقد المسؤولون الأتراك أن نظراءهم الروس أكثر مرونة مما يوحي خطابهم. إنهم يؤكدون على أن التوصل إلى حل في إدلب ليس بسيطاً، وأن روسيا توضح في المجالس الخاصة أنها تفهم ذلك.¹⁵⁵

تركيا من جهتها، مهتمة بشكل رئيسي بتحاشي صراع يزعزع الاستقرار على حدودها. من شأن معركة للسيطرة على إدلب أن ترسل موجة جديدة من اللاجئين إلى تركيا، ما سيثير أنقرة إما على إعادتهم بالقوة، أو إرسالهم إلى المناطق الخاضعة للسيطرة التركية شمال حلب أو السماح لهم بالدخول وزيادة عدد اللاجئين الكبير أصلاً في تركيا.¹⁵⁶ إن تدفقاً كبيراً غير منضبط للاجئين إلى تركيا سيشمل على الأرجح بعض المسلحين الجهاديين في إدلب. المسؤولون الأتراك يحذرون أن بعض هؤلاء قد يتمكن من مغادرة تركيا، بما في ذلك إلى أوروبا.¹⁵⁷ كما يمكن أن يصلوا إلى الفضاء ما بعد السوفييتي. إذا شعر جهاديو إدلب بأن تركيا تخلت عنهم، قد يشنون هجمات داخل تركيا، ما يمكن أن يوجه ضربة لقطاع السياحة في تركيا ويهدد اقتصاد البلاد الضعيف أصلاً.¹⁵⁸ حتى حدوث تدفق كبير للنازحين شمالاً إلى أجزاء تقع مباشرة تحت السيطرة التركية في محافظة حلب المجاورة من المرجح أن يتجاوز قدرات الجهات العاملة في الشأن الإنساني في تلك المنطقة.

حل تركيا المفضل لإدلب هو الاحتواء وفرض الهدوء. يجادل المسؤولون الأتراك بأن حرباً مفتوحة في إدلب من شأنها فقط أن تغذي المزيد من التطرف. بالمقابل، يدعون بأنه إذا تمت استدامة خفض التصعيد، يمكن لمسلحي إدلب أن يبتعدوا على نحو متزايد عن أيديولوجيتهم الجهادية وأن يصبح بالإمكان جذبهم إلى التسوية. المشكلة الحقيقية في إدلب، كما يراها المسؤولون الأتراك تتمثل في مجموعة فرعية أصغر أغلبيتهم من المتطرفين الأجانب، مجموعة تشمل حراس الدين لكن ليس بالضرورة كل هيئة تحرير الشام. ويشيرون إلى الانقسام بين هيئة تحرير الشام وحراس الدين على أنه يمكن أن يكون مفيداً من حيث أنه يبرز الفرق بين المسلحين المستعدين للتوصل إلى اتفاق وأولئك الذين لا أمل في رغبتهم في التصالح؛ ويضيفون بأن العديد من "الجهاديين" السوريين أكثر براغماتية واستعداداً للمشاركة في التوصل إلى حل. ما ويعتقد أن هؤلاء السوريين يستثمرون في مشروعهم للحكم ويحرصون على بقائهم. إذا منحوا ما يكفي من الوقت، يمكن أن يقتنعوا بالتخلص من المتطرفين الذين يشكلون خطراً دولياً.¹⁵⁹

قد لا تكون أوروبا مقتنعة تماماً بالحل الذي تقترحه تركيا لهيئة تحرير الشام، لكن في الوقت الحاضر على الأقل، فإن أهدافها توازي أهداف أنقرة. أوروبا أيضاً حريصة على تحاشي كارثة إنسانية في إدلب وتريد منع موجة هروب جديدة للاجئين من شأنها أن تقوض الصفقة الهشة بين الاتحاد الأوروبي وتركيا بشأن

¹⁵⁴ دبلوماسي غربي قال: "إذا تحدثت إلى روسيا أو حزب الله، سيقولون لك إنه سيكون هناك هجوم في النهاية. لكن من الصعب على المرء أن يتكهن: هل يحاولون الاستمرار في ممارسة الضغط؟ أم أن تلك نيتهم فعلاً؟" مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

¹⁵⁵ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين أتراك، أنقرة، تشرين الثاني/نوفمبر 2018. طبقاً لمسؤول تركي تحدث في تشرين الثاني/نوفمبر: "المسألة الأكثر أهمية هي أن هناك إرادة سياسية مشتركة قوية لدى تركيا وروسيا على حد سواء للمحافظة على الاتفاق، وضمان الهدوء، والسماح للاعبين بالتركيز أكثر على العملية السياسية. ما لم يكن هناك هدوء على الأرض، من الصعب إبقاء المحادثات مستمرة. الآن يمكن للجهود المنصبة على العملية السياسية أن تتكف".

¹⁵⁶ تستضيف تركيا أكثر من 3.5 مليون لاجئ سوري، طبقاً للإحصائيات الحكومية. وزارة الداخلية في الجمهورية التركية – المديرية العامة لإدارة الهجرة، *Distribution of Syrian Refugees in the Scope of Temporary Protection by Year*. قبل التوصل إلى اتفاق سوتشي حذرت الأمم المتحدة من أن نحو 800,000 شخص يمكن أن يهجروا إذا حدث هجوم. AFP, 29 August 2018, "UN fears 800,000 could be displaced in Syria's rebel-held Idlib". حتى ذلك الرقم الكبير استند إلى سيناريو يشن فيه النظام هجوماً محدوداً جغرافياً على قطاعات محددة في منطقة إدلب. أما هجوم على الشمال الغربي بأسره فإنه سيؤدي إلى نزوح عدد أكبر بكثير. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عامل في الشأن الإنساني عن بعد عبر تطبيق الرسائل، أيلول/سبتمبر 2018.

¹⁵⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين أتراك، أنقرة، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

¹⁵⁸ سوريون في المناطق الحدودية التركية وأفراد في المعارضة المسلحة في إدلب أخبروا مجموعة الأزمات أن مسلحي إدلب يمكن أن ينقلوا على تركيا إذا طبعت علاقاتها مع النظام السوري أو إذا نأت حكومة تركية جديدة بنفسها عن المعارضة السورية. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، ربحانلي، نيسان/أبريل 2018. مسؤول روسي تكهن أن سبب عدم رغبة تركيا بالتحول ضد هيئة تحرير الشام أن هناك حالياً صفقة ضمنية بأن التنظيم الجهادي لن يستهدف تركيا طالما لم تستهدفه تركيا. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، موسكو، شباط/فبراير 2019.

¹⁵⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين أتراك، أنقرة، تشرين الثاني/نوفمبر 2018. يشير المسؤولون الأتراك بشكل خاص إلى المسلحين الأردنيين والمصريين على أنهم محرضين ومثيرين للمشاكل ويلمحون إلى أنهم يمكن أن يكونوا أدوات للاستخبارات الأجنبية.

الهجرة وتدفع بالمزيد من المهاجرين إلى القارة.¹⁶⁰ في هذه الأثناء، فإن الولايات المتحدة تعارض هجوماً على إدلب من شأنه أن يحرم المعارضة من آخر موطن قدم لها ويشكل نصراً للنظام. في أيلول/سبتمبر، حثت على منع هجوم للنظام على إدلب حذرت من أنه سيشكل "تصعيداً متهوراً"، ما طرح احتمال قيام الولايات المتحدة بعمل عسكري.¹⁶¹

يجب على روسيا أن توازن بين هذه المصالح والرؤى المتباينة في اتخاذ قرارها بشأن ما إذا كانت ستدعم أو لا تدعم هجوماً من ذلك النوع. كما ينبغي أن تأخذ في الاعتبار رأي حليفها السوري، الذي يظل مصراً على استعادة إدلب. بالنسبة للنظام السوري، فإن إدلب الواقعة تحت سيطرة المعارضة المسلحة تشكل تهديداً مستمراً يمنع دمشق من إعادة فرض سيطرتها على كامل البلاد؛ وبشكل خاص، تقف في طريق فرض نظام أممي موحد على شمال سورية وحدودها مع تركيا.¹⁶² كما أن هناك هواجس عملية أكثر إلحاحاً؛ إذ ما يزال مسلحو منطقة إدلب يقتلون الجنود والمدنيين السوريين في المناطق المجاورة في اللاذقية، وحماه وحلب. وتنقل وسائل الإعلام الرسمية السورية يومياً أخبار الصدامات مع المسلحين داخل منطقة إدلب أو محاولات التسلل من قبل المسلحين.¹⁶³ إن سيطرة المعارضة المسلحة على إدلب تعطل التماسك الاقتصادي لشمال غرب سورية بقطع المركز الصناعي الذي كانت تشكله حلب قبل الحرب عن محيطها وعن الممرات التجارية. كما تنظر دمشق إلى إدلب بوصفها مدخلاً آخر للتدخل التركي غير المرحب به.

خصوصاً بعد ترحيل جماعات مختلفة ممن يفترض أنهم غير قابلين للمصالحة إلى إدلب من مناطق أخرى في البلاد، فإن المنطقة أصبحت نقطة تجمع لمن يعتبرهم النظام "إرهابيين" من سائر أنحاء البلاد. وبالنظر إلى عداة دمشق للإسلاميين على تنوعاتهم، فإن تعريفها لمن هو "إرهابي" واسع وقد يشمل نسبة كبيرة من مسلحي إدلب وحتى المدنيين فيها.¹⁶⁴ إن حل مسألة إدلب من منظور النظام قد يكون واسع النطاق. كما قال الرئيس بشار الأسد في مقابلة له في العام 2016:

لا يمكن قطع تلك الصلة لأن إدلب محاذية لتركيا، إنها تماماً على الحدود السورية التركية، وبالتالي لا يمكن فصل تلك المنطقة بل ينبغي تنظيفها، ينبغي أن نستمر في تنظيف هذه المنطقة ودفع الإرهابيين إلى تركيا كي يعودوا من حيث أتوا أو قتلهم، ليس هناك خيار آخر.¹⁶⁵

في مقابلة أجريت في أيلول/سبتمبر 2018 مع وزير الخارجية السوري وليد المعلم، أشار الوزير إلى أن منظور دمشق إلى إدلب لم يتغير كثيراً. قال المعلم إن "إرهابيي" إدلب كانوا قد دخلوا عبر تركيا، وأنهم سيغادرون عبرها: "عندما تسلك طريقاً من مدينة إلى أخرى وتريد العودة، فإنك تسلك الطريق نفسه".¹⁶⁶

ب. حل عسكري؟

بقدر ما هو الوضع الراهن سيء في إدلب، فإن جميع الحلول العسكرية ستكون أسوأ. يمكن لتركيا نظرياً أن تهاجم وتهزم هيئة تحرير الشام والجهاديين الآخرين في إدلب، أو على الأقل أن تتدخل بطريقة يمكن أن تؤدي إلى فصل التنظيم عن فصائل المعارضة المسلحة غير الجهادية في إدلب وأن تجبر البعض على الانشقاق عن هيئة تحرير الشام نفسها. في الواقع فإن بعض المدنيين قد يرحبون بعملية تركية لفرض سيطرتها. إلا أن مثل هذا التحرك سيكون خطراً ومكلفاً؛ حيث ستكون قوات المراقبة التركية الموجودة أصلاً في إدلب عرضة لهجمات الجهاديين، كما يمكن للجهاديين أن يلجؤوا إلى تكتيكات حرب عصابات

¹⁶⁰ ممثل سياسي لأحد فصائل المعارضة المسلحة قال: "[إيجاد حل سياسي في إدلب] ليس سهلاً. الأتراك لا يملكون حلاً - أي حل؟ وليس لدى الأوربيين حل، وبالتالي فإنهم يكتفون بدعم تركيا. الأمر ليس وكأننا نتحدث عن موزمبيق. إذا غطس هؤلاء الأشخاص في الماء، فإنهم سيصبحون في أوروبا". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، اسطنبول، أيلول/سبتمبر 2018.

¹⁶¹ على سبيل المثال، انظر. White House, "Statement by the Press Secretary", 4 September 2018.

¹⁶² لن يكون النظام وحيداً في تفكيره ذلك. طبقاً لمسؤول إيراني، "طالما لم تحل مشكلة إدلب، فإن مشكلة سورية تظل دون حل. إنها تهديد إرهابي". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، طهران، كانون الثاني/يناير 2019.

¹⁶³ على سبيل المثال، انظر "المجموعات الإرهابية تعتدي بقذائف الهاون على مدينة صوران"، سانا، 1 آذار/مارس 2019.

¹⁶⁴ قبل اتفاق سوتشي في أيلول/سبتمبر 2018، قالت مصادر دبلوماسية أنها كانت قد سمعت تقديرات بوجود 50,000، 60,000 و150,000 مقاتل داخل إدلب، وأن الرقم الأخير قدمه مسؤولو النظام. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، آب/أغسطس 2018.

¹⁶⁵ الرئيس الأسد لصحيفة كومسومولسكايا برفادا الروسية: ليس هناك تناقض بين 'إسرائيل' و'النصرة' و'داعش'، سانا، 14 تشرين الأول/أكتوبر 2016.

¹⁶⁶ المعلم: الوجود الأمريكي في سورية غير شرعي.. الاتفاق حول إدلب خطوة إيجابية لبطء سيطرة الدولة على كامل أراضيها، سانا، 30 أيلول/سبتمبر 2018.

ضد القوات التركية، أو حتى شن هجمات داخل تركيا.¹⁶⁷ في تلك الحالة، ستتولى تركيا احتلالاً صعباً دون نهاية واضحة. بشكل عام، لم تبد تركيا حتى الآن رغبة بمواجهة هيئة تحرير الشام مباشرة أو المشاركة في تدخل مشترك.

إن هجوماً للنظام مدعوماً من روسيا سيكون أكثر تدميراً.¹⁶⁸ في مناطق أخرى، ميّزت روسيا والنظام سكان المناطق التي تسيطر عليها المعارضة بين أولئك الذين "سيتصلحون" مع الدولة السورية وعدد أقل من أولئك الذين لن يتصلحوا، أو لا يستطيعون التصالح، ويتم ترحيلهم إلى مناطق أخرى. من شبه المؤكد أن روسيا والنظام لن يتمكنوا من تحقيق الأمر نفسه في إدلب؛ فالمعارضة المسلحة في إدلب مختلفة نوعياً عن المعارضة في المناطق الأخرى التي استعادها النظام. في مناطق مثل الغوطة الشرقية خارج دمشق والجنوب الغربي، كانت هيئة تحرير الشام لاعباً ثانوياً نسبياً؛ وكان بوسع النظام إلحاق الهزيمة ببعض مجموعات المعارضة المسلحة غير الجهادية، والتوصل إلى اتفاقات مع غيرها ومن ثم ترحيل البقية – بما في ذلك القوات المحلية التابعة لهيئة تحرير الشام، وفي كل مرة يتم الترحيل إلى شمال سورية.

على العكس من ذلك، فإن هيئة تحرير الشام هي القوة المهيمنة في إدلب، ما يعني أن فصائل المعارضة المسلحة الأخرى تقتصر على الاستقلال الذي يمكنها من التعامل بشكل منفصل مع روسيا والنظام. قبل اتفاق سوتشي، تواصلت روسيا وشركاؤها في المعارضة المسلحة السابقة من جنوب غرب سورية مع بعض فصائل المعارضة المسلحة في إدلب وبعض القيادات المحلية للتوسط في اتفاقات من شأنها أن تقضي على تقدم أقل عنفاً.¹⁶⁹ لم يحققوا تقدماً يذكر. شنت هيئة تحرير الشام وغيرها من فصائل المعارضة المسلحة حملات اعتقال شاملة لمن اسمتهم "الضفادع" الذين يشك بأنهم على اتصال مع النظام، فحرمت دمشق وموسكو ممن يتحدثان إليهم داخل إدلب.¹⁷⁰

بالنسبة لهيئة تحرير الشام والمقاتلين الأجانب في إدلب، فإن التعامل مع دمشق ليس خياراً. حتى بالنسبة للمعارضة الإسلامية غير الجهادية، لا يبدو أن هناك إمكانية لـ "المصالحة" مع النظام السوري المعادي بشراسة للإسلاميين والذي يفسد مسلحو إدلب بالنسبة له الشخصية الوطنية "المتجانسة".¹⁷¹ يبدو أن دمشق تعتبر فيلق الشام، وأحرار الشام، وصور الشام وجيش العزة "إرهابيين" بنفس القدر الذي تعتبر فيه هيئة تحرير الشام إرهابية. الحقيقة هي أنه ليس هناك سابقة لإعادة استيعاب معارضين مسلحين على شاكلة أولئك الموجودين في إدلب. في الواقع، ومن وجهة نظر دمشق، فإن حتى المدنيين الذين رفضوا "المصالحة" في أجزاء أخرى من البلاد (أو رفضوا من قبل الأجهزة الأمنية) ونقلوا إلى إدلب هم الآن، من حيث التعريف، غير قابلين للمصالحة. من الصعب تخيل هؤلاء الأشخاص يعيشون بأمان تحت سيطرة النظام.

إذا شنت روسيا والنظام هجوماً، فإن بعض سكان إدلب قد يختبئون في أماكنهم أو يهربون إلى مناطق النظام. لكن يبدو من المرجح أن معظم مسلحي ومدنيي إدلب سينتقلون على حدود تركيا، في مناطق تشكل معازل لهيئة تحرير الشام وموطناً لمخيمات النازحين في الشمال الغربي. إذا كانوا لا يستطيعون الهرب إلى تركيا أو إلى المناطق الخاضعة للسيطرة التركية في حلب، فإن هذه المناطق المكتظة بالسكان ستتحول إلى حمام دم. حتى هجوم محدود جغرافياً يخطر بإغراق شمال إدلب والأجزاء التي تسيطر عليها تركيا في حلب بنازحين محتاجين، ما سيتجاوز قدرة المنظمات الإنسانية ويزعزع استقرار هذه المناطق.

كما أن حلاً عسكرياً لا يشكل حلاً فيما يتعلق بمحاربة الإرهاب، على الأقل دولياً. صحيح أن وجود ملاذ آمن للجهاديين في إدلب يشكل هاجساً في مجال محاربة الإرهاب، حيث قد يلجأ الجهاديون إلى استخدام إدلب للتخطيط لهجمات خارجية، وبعض الدول تشك في قدرة تركيا واستعدادها للمحافظة على مقاتلي إدلب

¹⁶⁷ من الواضح أن مسؤولي هيئة تحرير الشام فكروا كيف سيقاومون وجوداً تركيا في داخل إدلب، إذا ترتب عليهم ذلك. انظر "Tahrir al-Sham official on Turkey's intervention to implement Astana: 'That's not the reality'", Abu al-Jamajem (blog), 15 October 2017.

¹⁶⁸ انظر إحاطة مجموعة الأزمات، **إنقاذ إدلب من التدمير**، مرجع سابق.

¹⁶⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد أفراد المعارضة المسلحة الجنوبية السابقين، عمان، تشرين الأول/أكتوبر 2018. تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 196، **دروس من عودة الدولة السورية إلى الجنوب**، 25 شباط/فبراير 2019.

¹⁷⁰ "ضفدع" هو لقب تطلقه المعارضة السورية على من يتواصل سراً مع النظام ويكون مستعداً لـ "القفز" إلى الجانب الآخر. انظر "Frogs' and 'Geckos': Syria's Jihadists Speak the Language of Rebellion"، Heller، مرجع سابق.

¹⁷¹ لمراجعة ملاحظات الرئيس بشار الأسد على "التجانس" الذي حققته سورية بعد جهد كبير من حيث العقيدة والرؤية، انظر "الرئيس الأسد: مستمر في مكافحة وسحق الإرهابيين .. كل ما يرتبط بمصير ومستقبل سورية هو موضوع سوري مئة بالمئة" وحدة الأراضي السورية من البديهييات غير القابلة للحديث أو النقاش"، سانا، 20 آب/أغسطس 2017.

في أماكنهم.¹⁷² لكن حتى الآن، ما من دليل على حدوث مثل هذا التخطيط. صحيح أن مسلحين مخضرمين مثل أفراد حراس الدين يشكلون مخاوف أمنية دولية، لكن فقط نتيجة لخصائصهم وقدراتهم، وليس على ما يذكر بسبب وجود مؤشرات على أنهم يخططون الآن لهجمات في الخارج.¹⁷³

إن هجوماً يدفع مسلحي إدلب إلى الخروج، سواء إلى تركيا أو إلى أماكن أخرى، سيشكل تهديداً إرهابياً عالمياً أكثر خطورة. جهاديو إدلب موجودون الآن داخل إدلب؛ أما الهجوم فيمكن أن يبعثرهم في سائر أنحاء العالم.¹⁷⁴ حتى بالنسبة للمسلحين المخضرمين، فإن الخطر الوشيك ليس أنهم سيهددون بلداناً أجنبية من داخل إدلب بل إنهم سيفعلون ذلك بعد خروجهم منها.¹⁷⁵

¹⁷² دبلوماسي عربي قال: "هل لدينا ضمانات بأن تركيا لن تسمح [لمسلحي إدلب] بالخروج؟ ما يقوله الناس هو أن جزءاً من أدوات تركيا في التأثير على هؤلاء الناس هو أن تعرض عليهم الخروج من إدلب ومنحهم ملاذاً آمناً خارجها". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تشرين الثاني/نوفمبر 2018. لقد تذر المسؤولون الإماراتيون والروس من أن تركيا سمحت لبعض المسلحين بالخروج من إدلب بالفعل. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين إماراتيين، وروس وأميين، واشنطن، جنيف وموسكو، شباط/فبراير 2019.

¹⁷³ لا يذكر الدبلوماسيون الغربيون سوى قدر محدود من المخاوف حيال التخطيط لهجمات خارجية من داخل إدلب. دبلوماسي عربي قال عن حراس الدين: "لم أرَ ما يشير إلى أنهم يخططون حالياً... ليس كما كان الأمر في حالة [تنظيم] خراسان". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تركيا، آب/أغسطس 2018.

¹⁷⁴ طبقاً لدبلوماسي أوروبي: "يبدو بشكل عام أن تركيا قادرة جداً على السيطرة على الحدود... الهاجس الأكبر هو أنه إذا حصل اندفاع كبير نحو الحدود، واضطرت تركيا إلى فتح حدودها دون ضوابط. لكن طالما ظلت الحدود مضبوطة، فإن الأمور على ما يرام". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تركيا، تشرين الثاني/نوفمبر 2018. إذا نشب الصراع في إدلب، فإن مسلحي المنطقة قد يتسربون من الداخل السوري إلى دول أخرى. مسؤول لبناني قال: "التهديد الوشيك [للبنان] هو أن يحدث أي شيء في إدلب أو الجيوب الإرهابية الأخرى في سورية. النظام السوري يسيطر على 65% من البلاد، لكنه لا يسيطر مئة بالمئة على تلك المناطق. الخوف هو إذا [حدث شيء] فإن الأفراد أو المجموعات الصغيرة ستحاول المغادرة والتسلل بشكل غير قانوني إلى لبنان". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، كانون الثاني/يناير 2019.

¹⁷⁵ طبقاً لدبلوماسي عربي، "لقد كان كل التركيز على تقليص التدفقات إلى الخارج. مصدر الخوف هو أن هناك بعض الأشخاص في [إدلب] يمتلكون قدرات على القيام بعمليات خارجية، والذين سترغب قيادتهم بنقلهم إلى مناطق أخرى. ولذلك فإن وجود هؤلاء الأشخاص يعد مشكلة كبيرة وبشعة... عندما [يهاجم النظام إدلب]، فإنهم سينبشون بذلك عش نمل جهنمي... إلى حد أن يخرج هؤلاء اللاعنون والخطرون ويتواصلون مع أعضاء تنظيم الدولة الإسلامية أو القاعدة في مناطق أخرى، ويصبحون حوافز مسرعة لتهديد عالمي ينتشر كالورم الخبيث. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، كانون الثاني/يناير 2019.

V. أفضل الخيارات السنية: العودة إلى سوتشي

يبدو أن مصلحة روسيا في صيانة علاقتها مع تركيا ستنتقد إدلب في الوقت الراهن. لكن إذا كان لهذا الوضع أن يدم، يتوجب على تركيا أن تظهر لشريكها الروسي أنها تحقق تقدماً حقيقياً في تنفيذ مذكرة سوتشي في إدلب. وقد كان تسيير الدورية التركية في المنطقة منزوعة السلاح خطوة مهمة نحو تنفيذ بنود اتفاق سوتشي، لكنها كانت خطوة أولى فقط من خطوات عدة. ينبغي على تركيا وروسيا أن تؤكد التزامهما بالاتفاق، وعلى تركيا أن تفعل المزيد لتنفيذ بعض البنود الرئيسية فيه.

الدورية التركية غطت جزءاً فقط من شمال إدلب وريف حلب الجنوبي.¹⁷⁶ يجب على تركيا، وبالتنسيق مع روسيا، أن توسع نطاق دورياتها لتغطي كامل المنطقة منزوعة السلاح حول إدلب، حتى مع تعزيزها لنقاط مراقبتها الثابتة. وبالتوازي، ينبغي على روسيا أن تسيير دوريات خارج المنطقة. كما يمكن لروسيا أن ترافق المنطقة منزوعة السلاح من الجو بواسطة الطائرات المسيرة. ومع توسيع تركيا لوجودها داخل إدلب، ينبغي أن تفتح هيئة تحرير الشام وفصائل المعارضة المسلحة الأخرى بوقف الهجمات ضد قوات النظام في المناطق المجاورة في اللاذقية، وحماه وحلب. كما ينبغي على روسيا أن تحت النظام على وقف قصفه لإدلب التي تسيطر عليها المعارضة المسلحة، بما في ذلك المراكز السكنية المدنية؛ حيث إن العديد من هجمات المعارضة المسلحة تصور على أنها رد انتقامي على هجمات النظام، ما يغرق الطرفين في حالة من العنف المتبادل. إن هذا النوع من خفض التصعيد لن يكون غير مسبوق؛ حيث إن تركيا وروسيا خفتنا سابقاً من حدة التوتر عبر مزيج من الإقناع والإكراه الذي أفضى فيما يبدو إلى وقف الهجمات بالطائرات المسيرة على قاعدة حميميم الجوية الروسية. ينبغي تكرار هذه الجهود.

كما ينبغي على تركيا وروسيا أن تتخذا خطوات لفتح الطرق السريعة الرئيسية في إدلب، كما تتطلب مذكرة سوتشي. تسيطر هيئة تحرير الشام حالياً على الطرق التي تعبر المنطقة، ويتوقع أن تسيطر على العائدات المتأتمية من حركة المرور. ينبغي على تركيا أن تضغط على هيئة تحرير الشام لتخفيف قبضتها على الطريقين السريعين وبدلاً من ذلك أن تؤمن بقواتها الطريقين مع مراقبة جوية من الطائرات المسيرة الروسية. من المرجح ألا ترغب هيئة تحرير الشام بخسارة العائدات التي تحصلها من حواجزها على الطريقين السريعين، لكن على تركيا أن تؤكد لهيئة تحرير الشام أن البديل هو هجوم مدعوم روسياً لن تكون في موقع يمكنها من وقفه. في ذلك السيناريو، ستترك هيئة تحرير الشام لخوض معركة مع النظام وحليفه الروسي سوف تخسرها.

مثل هذه الخطوات لن تطيح بهيئة تحرير الشام. كما أنها ستترك سكان إدلب المدنيين تحت السيطرة الفعلية والقمعية للهيئة؛ إذ يقوم التنظيم بسجن معارضيه، ويفرض أنماط سلوك إجتماعي محافظ على نساء إدلب وينشر برنامجه المتشدد. بالنسبة لشباب إدلب الذين قضوا سنوات خارج المدارس، فإن السيطرة الجهادية الطويلة قد تنتج أعداداً متزايدة من سكان إدلب الذين لا يعرفون شيئاً سوى التشدد والعنف. لكن حتى هذه التبعات الرهيبة على المدنيين ستبدو شاحبة بالمقارنة مع تبعات هجوم يشنه النظام، الذي يمكن أن يؤدي إلى النزوح، والاعتقال، والعنف الجنسي والموت.¹⁷⁷

استناداً إلى سلوكها في الماضي، فإن هيئة تحرير الشام تبدو مستعدة للقبول بحل من شأنه أن يجنبها هجوم يشنه النظام، حتى حل يقيد قدرتها على العمل وتحصيل الأموال. كما قد يكون من الممكن طلب مساعدة هيئة تحرير الشام في قمع التخطيط لهجمات في الخارج، وهو ما يمكن أن تقدمه على الأقل لضمان بقائها. بالنسبة لروسيا، فإن هذا النوع من الترتيبات سيعالج في الحد الأدنى هواجسها الأمنية المباشرة والملموسة بشكل أكثر فعالية من شن هجوم عسكري يخرج الجهاديين من إدلب، وعبر تركيا، إلى أوروبا والفضاء ما بعد السوفييتي.

¹⁷⁶ Temizer, "Turkish military completes patrols in Syria's Idlib", op. cit.

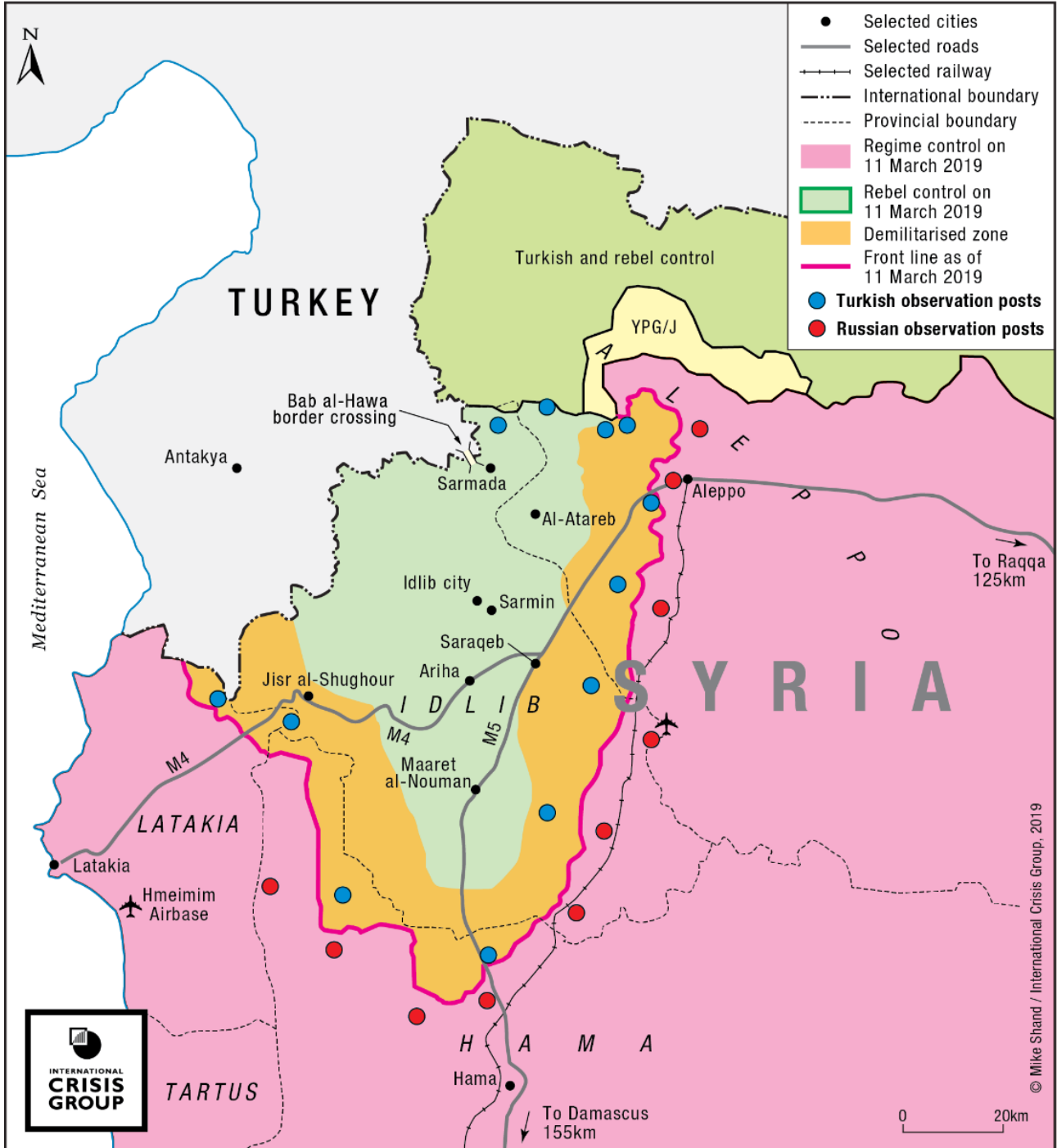
¹⁷⁷ UN Human Rights Council, "'I lost my dignity': Sexual and gender-based violence in the Syrian Arab Republic", 15 March 2018.

VI. الخلاصة

إن إعادة الاستثمار في مذكرة سوتشي لا يشكل حلاً مثالياً بحال من الأحوال، سواء بالنسبة لسكان إدلب المدنيين، أو للنظام السوري الذي يرغب بإعادة فرض سيطرته الكاملة على البلاد، أو لروسيا التي تشاطره ذلك الهدف. لكن في الوقت الراهن، من شبه المؤكد أنه أفضل الخيارات المتاحة. أما البديل، المتمثل في هجوم عسكري مشترك بين روسيا والنظام على إدلب فإنه سيعني موتاً ونزوحاً جماعياً، وخروج موجات من اللاجئين تزعزع الاستقرار وظهور شتات جهادي عالمي جديد. بعبارة أخرى، سيكون ذلك أسوأ لجميع الأطراف. على العكس من ذلك، فإن تجدد الهدوء في إدلب سيخدم المصالح التركية والروسية، بما في ذلك تطوير علاقاتهما الثنائية. والأمر الأكثر أهمية هو أن ذلك سينقذ حياة المدنيين العالقين في منطقة لا مجال للهروب منها.

بيروت/بروكسل، 14 آذار/مارس 2019

الملحق أ: خريطة إدلب



الملحق ب: عن مجموعة الأزمات الدولية

مجموعة الأزمات الدولية (مجموعة الأزمات) هي منظمة مستقلة غير ربحية وغير حكومية، تضم حوالي 120 موظفاً في خمس قارات يعملون من خلال التحليل الميداني وحشد الدعم وممارسة الإقناع على المستويات العليا من أجل منع وتسوية النزاعات الخطيرة.

تقوم مقارنة مجموعة الأزمات على أساس البحث الميداني، حيث تعمل فرق من الباحثين السياسيين داخل أو بالقرب من الدول التي يوجد فيها خطر لاندلاع أو تصاعد أو تكرار حدوث صراع عنيف. وبناء على المعلومات والتقييمات المستقاة من الميدان تقوم بإعداد تقارير تحليلية تتضمن توصيات عملية موجهة إلى كبار صنّاع القرار الدوليين. كما تقوم مجموعة الأزمات بنشر *كرايسيسوتش* وهي نشرة شهرية تقدم الإنذار المبكر وتحديثاً واضحاً ومنتظماً حول وضع ما يصل إلى 70 حالة صراع فعلي أو محتمل في سائر أنحاء العالم.

يتم توزيع تقارير مجموعة الأزمات بشكل واسع عبر البريد الإلكتروني، وتتوافر في نفس الوقت على موقعها على الإنترنت: www.crisisgroup.org. تعمل مجموعة الأزمات بشكل وثيق مع الحكومات والأطراف التي تؤثر على الحكومات، بما في ذلك الإعلام، من أجل إبراز تحليلاتها حول الأزمات وحشد التأييد لتوصياتها بشأن السياسات.

إن مجلس أمناء مجموعة الأزمات – الذي يضم شخصيات بارزة في مجالات السياسة والدبلوماسية والأعمال والإعلام – يعمل بشكل مباشر في المساعدة على إيصال هذه التقارير والتوصيات إلى انتباه كبار صنّاع السياسات في سائر أنحاء العالم. يرأس مجموعة الأزمات النائب السابق للأمين العام للأمم المتحدة والمدير الإداري لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، اللورد مارك مالوخ – براون.

رئيس مجموعة الأزمات ومديرها التنفيذي، روبرت مالي، باشر مهام منصبه في 1 كانون الثاني/يناير 2018. شغل مالي سابقاً منصب مدير برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في مجموعة الأزمات؛ وكان آخر منصب شغله هو منصب المساعد الخاص للرئيس الأميركي السابق باراك أوباما ومستشاره رفيع المستوى لشؤون الحملة ضد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، ومنسق البيت الأبيض لشؤون الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا والخليج. كما عمل في الماضي كمساعد خاص للرئيس بل كلينتون للشؤون الإسرائيلية-ال فلسطينية.

يوجد المقر الرئيسي لمجموعة الأزمات الدولية في بروكسل، كما أن لها مكاتب في سبعة مواقع أخرى هي: بوغوتا، وداكار، واسطنبول، ونيروبي، ولندن، ونيويورك، وواشنطن دي سي. كما أن لها وجود في المواقع الآتية: أبوجا، والجزائر، وبانكوك، وبيروت، وكراكاس، ومدينة غزة، ومدينة غواتيمالا، وهونغ كونغ، والقدس، وجوهانسبورغ، وجوبا، ومكسيكو سيتي، ونيودلهي، والرباط، وتبليسي، وتورنت، وطرابلس، وتونس، ويانغون.

تتلقى مجموعة الأزمات دعماً مالياً من طيف واسع من الحكومات والصناديق والمتبرعين الأفراد. تقيم مجموعة الأزمات حالياً علاقات مع الدوائر والهيئات الحكومية الآتية: وزارة الشؤون الخارجية والتجارة الأسترالية، الوكالة النمساوية للتنمية، وزارة الخارجية الدنماركية، وزارة الشؤون الخارجية الهولندية، صندوق أمانة طوارئ الاتحاد الأوروبي لأفريقيا، وآلية الاتحاد الأوروبي للمساهمة في الاستقرار والسلام، وزارة الخارجية الفنلندية، وكالة التنمية الفرنسية، وزارة شؤون أوروبا والشؤون الخارجية الفرنسية، وزارة الخارجية الاتحادية الألمانية، وزارة الخارجية الأيسلندية، وكالة المساعدات الأيرلندية، الوكالة اليابانية للتعاون الدولي، وزارة خارجية ليختنشتاين، وزارة خارجية اللوكسمبورغ، ووزارة الخارجية والتجارة النيوزيلندية، ووزارة الشؤون الخارجية النرويجية، وزارة التنمية الدولية البريطانية، وزارة الخارجية القطرية، وزارة الشؤون الخارجية السويدية، وزارة الشؤون الخارجية الاتحادية السويسرية، ووزارة التنمية الدولية البريطانية، ووزارة الخارجية والتعاون الدولي الإماراتية.

ترتبط مجموعة الأزمات بعلاقات مع المؤسسات التالية: مؤسسة كارنيغي في نيويورك، ومؤسسة تشارلز كوخ، ومؤسسة هنري لوس، ومؤسسة جون د. وكاترين ت. ماك آرثر، ومؤسسة كوريا، ومؤسسات أوبن سوسيتي، ومؤسسة بلوشيرز، ومؤسسة روبرت بوش ستيفتونغ، ومؤسسة الإخوان روكفلر، ومؤسسة يونيكوربا، ومؤسسة ويلسبرينغ الإنسانية.

الملحق ج: تقارير وإحاطات مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا منذ العام 2016

Special Reports

Exploiting Disorder: al-Qaeda and the Islamic State, Special Report N°1, 14 March 2016 (also available in Arabic and French).

Seizing the Moment: From Early Warning to Early Action, Special Report N°2, 22 June 2016.

Counter-terrorism Pitfalls: What the U.S. Fight against ISIS and al-Qaeda Should Avoid, Special Report N°3, 22 March 2017.

Israel/Palestine

How to Preserve the Fragile Calm at Jerusalem's Holy Esplanade, Middle East Briefing N°48, 7 April 2016 (also available in Arabic and Hebrew).

Israel/Palestine: Parameters for a Two-State Settlement, Middle East Report N°172, 28 November 2016 (also available in Arabic).

Israel, Hizbollah and Iran: Preventing Another War in Syria, Middle East Report N°182, 8 February 2018 (also available in Arabic).

Averting War in Gaza, Middle East Briefing N°60, 20 July 2018 (also available in Arabic).

Rebuilding the Gaza Ceasefire, Middle East Report N°191, 16 November 2018 (also available in Arabic).

Iraq/Syria/Lebanon

Arsal in the Crosshairs: The Predicament of a Small Lebanese Border Town, Middle East Briefing N°46, 23 February 2016 (also available in Arabic).

Russia's Choice in Syria, Middle East Briefing N°47, 29 March 2016 (also available in Arabic).

Steps Toward Stabilising Syria's Northern Border, Middle East Briefing N°49, 8 April 2016 (also available in Arabic).

Fight or Flight: The Desperate Plight of Iraq's "Generation 2000", Middle East Report N°169, 8 August 2016 (also available in Arabic).

Hizbollah's Syria Conundrum, Middle East Report N°175, 14 March 2017 (also available in Arabic and Farsi).

Fighting ISIS: The Road to and beyond Raqqa, Middle East Briefing N°53, 28 April 2017 (also available in Arabic).

The PKK's Fateful Choice in Northern Syria, Middle East Report N°176, 4 May 2017 (also available in Arabic).

Oil and Borders: How to Fix Iraq's Kurdish Crisis, Middle East Briefing N°55, 17 October 2017 (also available in Arabic).

Averting Disaster in Syria's Idlib Province, Middle East Briefing N°56, 9 February 2018 (also available in Arabic).

Winning the Post-ISIS Battle for Iraq in Sinjar, Middle East Report N°183, 20 February 2018 (also available in Arabic).

Saudi Arabia: Back to Baghdad, Middle East Report N°186, 22 May 2018 (also available in Arabic).

Keeping the Calm in Southern Syria, Middle East Report N°187, 21 June 2018 (also available in Arabic).

Iraq's Paramilitary Groups: The Challenge of Rebuilding a Functioning State, Middle East Report N°188, 30 July 2018 (also available in Arabic).

How to Cope with Iraq's Summer Brushfire, Middle East Briefing N°61, 31 July 2018.

Saving Idlib from Destruction, Middle East Briefing N°63, 3 September 2018 (also available in Arabic).

Prospects for a Deal to Stabilise Syria's North East, Middle East Report N°190, 5 September 2018 (also available in Arabic).

Reviving UN Mediation on Iraq's Disputed Internal Boundaries, Middle East Report N°194, 14 December 2018 (also available in Arabic).

Avoiding a Free-for-all in Syria's North East, Middle East Briefing N°66, 21 December 2018 (also available in Arabic).

Lessons from the Syrian State's Return to the South, Middle East Report N°196, 25 February 2019 (also available in Arabic).

North Africa

Tunisia: Transitional Justice and the Fight Against Corruption, Middle East and North Africa Report N°168, 3 May 2016 (also available in Arabic and French).

Jihadist Violence in Tunisia: The Urgent Need for a National Strategy, Middle East and North Africa Briefing N°50, 22 June 2016 (also available in French and Arabic).

The Libyan Political Agreement: Time for a Reset, Middle East and North Africa Report N°170, 4 November 2016 (also available in Arabic).

Algeria's South: Trouble's Bellwether, Middle East and North Africa Report N°171, 21 November 2016 (also available in Arabic and French).

Blocked Transition: Corruption and Regionalism in Tunisia, Middle East and North Africa Report N°177, 10 May 2017 (only available in French and Arabic).

How the Islamic State Rose, Fell and Could Rise Again in the Maghreb, Middle East and North Africa Report N°178, 24 July 2017 (also available in Arabic and French).

- How Libya's Fezzan Became Europe's New Border*, Middle East and North Africa Report N°179, 31 July 2017 (also available in Arabic).
- Stemming Tunisia's Authoritarian Drift*, Middle East and North Africa Report N°180, 11 January 2018 (also available in French and Arabic).
- Libya's Unhealthy Focus on Personalities*, Middle East and North Africa Briefing N°57, 8 May 2018.
- Making the Best of France's Libya Summit*, Middle East and North Africa Briefing N°58, 28 May 2018 (also available in French).
- Restoring Public Confidence in Tunisia's Political System*, Middle East and North Africa Briefing N°62, 2 August 2018 (also available in French and Arabic).
- After the Showdown in Libya's Oil Crescent*, Middle East and North Africa Report N°189, 9 August 2018 (also available in Arabic).
- Breaking Algeria's Economic Paralysis*, Middle East and North Africa Report N°192, 19 November 2018 (also available in Arabic and French).
- Iran/Yemen/Gulf**
- Yemen: Is Peace Possible?*, Middle East Report N°167, 9 February 2016 (also available in Arabic).
- Turkey and Iran: Bitter Friends, Bosom Rivals*, Middle East Briefing N°51, 13 December 2016 (also available in Farsi).
- Implementing the Iran Nuclear Deal: A Status Report*, Middle East Report N°173, 16 January 2017 (also available in Farsi).
- Yemen's al-Qaeda: Expanding the Base*, Middle East Report N°174, 2 February 2017 (also available in Arabic).
- Instruments of Pain (I): Conflict and Famine in Yemen*, Middle East Briefing N°52, 13 April 2017 (also available in Arabic).
- Discord in Yemen's North Could Be a Chance for Peace*, Middle East Briefing N°54, 11 October 2017 (also available in Arabic).
- The Iran Nuclear Deal at Two: A Status Report*, Middle East Report N°181, 16 January 2018 (also available in Arabic and Farsi).
- Iran's Priorities in a Turbulent Middle East*, Middle East Report N°184, 13 April 2018 (also available in Arabic).
- How Europe Can Save the Iran Nuclear Deal*, Middle East Report N°185, 2 May 2018 (also available in Persian and Arabic).
- Yemen: Averting a Destructive Battle for Hodeida*, Middle East Briefing N°59, 11 June 2018.
- The Illogic of the U.S. Sanctions Snapback on Iran*, Middle East Briefing N°64, 2 November 2018 (also available in Arabic).
- The United Arab Emirates in the Horn of Africa*, Middle East Briefing N°65, 6 November 2018 (also available in Arabic).
- How to Halt Yemen's Slide into Famine*, Middle East Report N°193, 21 November 2018 (also available in Arabic).
- On Thin Ice: The Iran Nuclear Deal at Three*, Middle East Report N°195, 16 January 2019 (also available in Farsi and Arabic).

الملحق د: مجلس أمناء مجموعة الأزمات الدولية

CHAIR

Lord (Mark) Malloch-Brown

Former UN Deputy Secretary-General and Administrator of the United Nations Development Programme

PRESIDENT & CEO

Robert Malley

Former White House Coordinator for the Middle East, North Africa and the Gulf region

OTHER TRUSTEES

Fola Adeola

Founder and Chairman, FATE Foundation

Hushang Ansary

Chairman, Parman Capital Group LLC; Former Iranian Ambassador to the U.S. and Minister of Finance and Economic Affairs

Carl Bildt

Former Prime Minister and Foreign Minister of Sweden

Emma Bonino

Former Foreign Minister of Italy and European Commissioner for Humanitarian Aid

Cheryl Carolus

Former South African High Commissioner to the UK and Secretary General of the African National Congress (ANC)

Maria Livanos Cattau

Former Secretary General of the International Chamber of Commerce

Ahmed Charai

Chairman and CEO of Global Media Holding and publisher of the Moroccan weekly *L'Observateur*

Nathalie Delapalme

Executive Director and Board Member at the Mo Ibrahim Foundation

Alexander Downer

Former Australian Foreign Minister and High Commissioner to the United Kingdom

Sigmar Gabriel

Former Minister of Foreign Affairs and Vice Chancellor of Germany

Robert Fadel

Former Member of Parliament in Lebanon; Owner and Board Member of the ABC Group

Frank Giustra

President & CEO, Fiore Group; Founder, Radcliffe Foundation

Hu Shuli

Editor-in-Chief of Caixin Media; Professor at Sun Yat-sen University

Mo Ibrahim

Founder and Chair, Mo Ibrahim Foundation; Founder, Celtel International

Yoriko Kawaguchi

Former Foreign Minister of Japan; former Environment Minister

Wadah Khanfar

Co-Founder, Al Sharq Forum; former Director General, Al Jazeera Network

Nasser al-Kidwa

Chairman of the Yasser Arafat Foundation; Former UN Deputy Mediator on Syria

Bert Koenders

Former Dutch Minister of Foreign Affairs and Under-Secretary-General of the United Nations

Andrey Kortunov

Director General of the Russian International Affairs Council

Ivan Krastev

Chairman of the Centre for Liberal Strategies (Sofia); Founding Board Member of European Council on Foreign Relations

Ramtane Lamamra

Former Minister of Foreign Affairs of Algeria; Former Commissioner for Peace and Security, African Union

Tzipi Livni

Former Foreign Minister and Vice Prime Minister of Israel

Helge Lund

Former Chief Executive BG Group (UK) and Statoil (Norway)

Susana Malcorra

Former Foreign Minister of Argentina

William H. McRaven

Retired U.S. Navy Admiral who served as 9th Commander of the U.S. Special Operations Command

Shivshankar Menon

Former Foreign Secretary of India; former National Security Adviser

Naz Modirzadeh

Director of the Harvard Law School Program on International Law and Armed Conflict

Saad Mohseni

Chairman and CEO of MOBY Group

Marty Natalegawa

Former Minister of Foreign Affairs of Indonesia, Permanent Representative to the UN, and Ambassador to the UK

Ayo Obe

Chair of the Board of the Gorée Institute (Senegal); Legal Practitioner (Nigeria)

Meghan O'Sullivan

Former U.S. Deputy National Security Adviser on Iraq and Afghanistan

Thomas R. Pickering

Former U.S. Under-Secretary of State and Ambassador to the UN, Russia, India, Israel, Jordan, El Salvador and Nigeria

Ahmed Rashid

Author and Foreign Policy Journalist, Pakistan

Juan Manuel Santos Calderón

Former President of Colombia; Nobel Peace Prize Laureate 2016

Wendy Sherman

Former U.S. Under Secretary of State for Political Affairs and Lead Negotiator for the Iran Nuclear Deal

Ellen Johnson Sirleaf

Former President of Liberia

Alexander Soros

Deputy Chair of the Global Board, Open Society Foundations

George Soros

Founder, Open Society Foundations and Chair, Soros Fund Management

Jonas Gahr Støre

Leader of the Labour Party and Labour Party Parliamentary Group; former Foreign Minister of Norway

Jake Sullivan

Former Director of Policy Planning at the U.S. Department of State, Deputy Assistant to President Obama, and National Security Advisor to Vice President Biden

Lawrence H. Summers

Former Director of the U.S. National Economic Council and Secretary of the U.S. Treasury; President Emeritus of Harvard University

Helle Thorning-Schmidt

CEO of Save the Children International; former Prime Minister of Denmark

Wang Jisi

Member, Foreign Policy Advisory Committee of the Chinese Foreign Ministry; President, Institute of International and Strategic Studies, Peking University

PRESIDENT'S COUNCIL

A distinguished group of individual and corporate donors providing essential support and expertise to Crisis Group.

| CORPORATE | INDIVIDUAL | |
|------------------------------------|---------------------------------------|------------------------|
| BP | (5) Anonymous | Stephen Robert |
| Shearman & Sterling LLP | Scott Bessent | Luděk Sekyra |
| Statoil (U.K.) Ltd. | David Brown & Erika Franke | Alexander Soros |
| White & Case LLP | Herman De Bode | Ian R. Taylor |

INTERNATIONAL ADVISORY COUNCIL

Individual and corporate supporters who play a key role in Crisis Group's efforts to prevent deadly conflict.

| CORPORATE | INDIVIDUAL | |
|----------------------------|---|--|
| Anonymous | (3) Anonymous | Faisal Khan |
| APCO Worldwide Inc. | Mark Bergman | Cleopatra Kitt |
| Atlas Copco AB | Stanley Bergman & Edward Bergman | Michael & Jackie Lambert |
| Chevron | David & Katherine Bradley | Samantha Lasry |
| Edelman UK | Eric Christiansen | Leslie Lishon |
| Eni | Sam Englebardt | Malcolm Hewitt Wiener Foundation |
| HSBC Holdings Plc | The Edelman Family Foundation | The New York Community Trust – Lise Strickler & Mark Gallogly Charitable Fund |
| MetLife | Seth & Jane Ginns | The Nommontu Foundation |
| Noble Energy | Ronald Glickman | Brian Paes-Braga |
| RBC Capital Markets | David Harding | Kerry Propper |
| Shell | Geoffrey R. Hoguet & Ana Luisa Ponti | Duco Sickinghe |
| | Geoffrey Hsu | Nina K. Solarz |
| | David Jannetti | Clayton E. Swisher |
| | | Enzo Viscusi |

AMBASSADOR COUNCIL

Rising stars from diverse fields who contribute their talents and expertise to support Crisis Group's mission.

| | | |
|---------------------------|------------------------------|------------------------|
| Amy Benziger | Lindsay Iversen | Nidhi Sinha |
| Tripp Callan | Azim Jamal | Chloe Squires |
| Kivanc Cubukcu | Arohi Jain | Leeanne Su |
| Matthew Devlin | Christopher Louney | Bobbi Thomason |
| Victoria Ergolavou | Matthew Magenheimer | AJ Twombly |
| Noa Gafni | Madison Malloch-Brown | Dillon Twombly |
| Christina Bache | Megan McGill | Annie Verderosa |
| Lynda Hammes | Hamesh Mehta | Zachary Watling |
| Jason Hesse | Tara Opalinski | Grant Webster |
| Dalí ten Hove | Perfecto Sanchez | |

SENIOR ADVISERS

Former Board Members who maintain an association with Crisis Group, and whose advice and support are called on (to the extent consistent with any other office they may be holding at the time).

| | | |
|--|---------------------------------|----------------------------------|
| Martti Ahtisaari Chairman Emeritus | Christoph Bertram | Aleksander Kwasniewski |
| George Mitchell Chairman Emeritus | Lakhdar Brahimi | Ricardo Lagos |
| Gareth Evans President Emeritus | Kim Campbell | Joanne Leedom-Ackerman |
| Kenneth Adelman | Jorge Castañeda | Todung Mulya Lubis |
| Adnan Abu-Odeh | Joaquim Alberto Chissano | Graça Machel |
| HRH Prince Turki al-Faisal | Victor Chu | Jessica T. Mathews |
| Celso Amorim | Mong Joon Chung | Miklós Németh |
| Óscar Arias | Sheila Coronel | Christine Ockrent |
| Richard Armitage | Pat Cox | Timothy Ong |
| Diego Arria | Gianfranco Dell'Alba | Roza Otunbayeva |
| Zainab Bangura | Jacques Delors | Olara Otunnu |
| Nahum Barnea | Alain Destexhe | Lord (Christopher) Patten |
| Kim Beazley | Mou-Shih Ding | Surin Pitsuwan |
| Shlomo Ben-Ami | Uffe Ellemann-Jensen | Fidel V. Ramos |
| | Stanley Fischer | Olympia Snowe |
| | Carla Hills | Javier Solana |
| | Swanee Hunt | |
| | Wolfgang Ischinger | |